عبد الرحمن بدوى *

اللغة والمنطق فى الدراسات الحالية

من أكثر مجالات الدراسة فى العلوم الانسانية نشاطا فى هذه الاعوام الاخيرة علم اللسان العام Linguistique generale خصوصا بفضل النزعة التركيبية ، التى وان بدات فى الثلاثينات ، فانها لم تأخذ تمام نضوجها الا فى الستينات من هذا القرن .

ثم ان العلاقة بين اللغة والمنطق كانت موضوع دراسة موسعة بفضل جى . اى . مور G. E. Moore وبرتراند رسل Bertrand Russell ومن سار فى اثرهما ، وعلى راسهم لودفج فتجنشتين Ludwig Wittgenstein ودائرة فينا بعامة ، ونخص منها بالذكر رودلف كرنب الذى توفى فى شهر أكتوبر الماضى .

ذلك ان مور Moore اكد اهمية تحليل اللغة من اجل ايضاح المشاكل الفلسفية واطراح الزائف منها فى ظنّه ، وبالغ فى هذا الاتجاه حتى قال :« يبدو لى ان الصعوبات والخلافات التى يزخر بها علم الاخلاق وسائر الدراسات الفلسفية ترجع فى الغالب الى سبب بسيط جدا الا وهو : محاولة الاجابة عن الاسئلة الموضوعية دون ان يكتشف بالدقة ماهو السؤال الذى يراد الجواب عنه (١) ذلك انه يصدر فى تفكيره عن هذا الفهم للفلسفة ، وهو ان غايتها ليست اكتشاف حقائق لم نكن نعرفها من قبل ، بل ايضاح ما نعرفه من قبل . ومن أهم وسائل هذا الايضاح : تحليل اللغة . على انه ــ والحق يقال ــ لم يصل الى درجة انكار اية مهمة أخرى للفلسفة ، كما سيفعل رجال الوضعية المنطقية فى مبالغاتهم الفجة ، كما لم يدع ان تحليل اللغة كاف للجواب عن المشاكل الفلسفية

(١) G. E. : **principia** Ethica, p. vii. Cambridge, 1903.

كما يزعم الوضعيون المنطقيون ايضا . وانما هويرمى الى الكشف عما يريده الفيلسوف حين يقرر قضية أو مبدأ ، وماهى الاسباب التى تدعونا الىافتراض ان ما قرره صحيح أو فاسد . ومن أجل هذا يبين الانماط المختلفة للقضايا ، أو مختلفالمسائل موضوع البحث ، وماهى أنواع الاسباب التى تفيد فى تأييد ، أو تفنيد ، قضية ما ،ومعيارهفى تحديد ذلك هو ما يسميه باسم الاحساس العام (٢) ، ومعيار الاحساس العام بدوره هو « اجماعالرأى » . وهو يقدمثبتا موقتا لما يقرره الاحساس العام بيقين ، مثل : اننا نعرف بيقين انه « يوجداعداد هائلة من الاشياء المادية » ، وانه « يوجد اعداد هائلة من أفعال العقل أو أفعال الشعور » ،أو انالتفكير والاحساس يتوقفان على ابداننا، أو ان الاشياء توجد فى زمان ومكان ، أوان الاشياءتوجدولو لم نعلم أو نشعر بوجودها (٣) . ويسوق مثلا على مافيه خلاف فى الحس العام ، فيقول : « كثيرمن الناساعتقدوا ولا يزالون يعتقدون أن ثم الها ، ومن الممكن انـنعد هذه القضية اعتقادامن اعتقاداتالاحساس العام . ومن ناحية اخرى نجد كثيرامن الناس يعتقدون الآن انه حتى لو وجد اله ، فاننالا نعلم علم اليقين انه واحد ، وهذا أيضا يمكن أن يعد معتقدا للاحساس العام . وبالجملة ، احسبان الاولى أن يقال ان الاحساس العام ليس له رأى فيما يتعلق بمعرفة هل يوجد اله أو لا يوجد،أعنى انه لا يؤكد ذلك ، ولا ينفيه ، ولهذا فان الاحساس العام ليس لـه رأى فى الكون بوصفهكلا » (٤) .

ومن السهل الرد على مور فى دعواه هذه بأنيقال انه لا يوجد اجماع على شيء ، وبأنه حتى لو بدا اجماع فى الظاهر على قضية ما ، فلربما كانــ بل هذا هو الواقع ــ ذلك الاجماع عن تفاوت فى فهم مدلول القضية . فمثلا القول التالى : « الارضوجدت منذ سنوات عديدة خلت » ــ يتوقف الامر فى تصديقه أو تكذيبه على المفهوم من الالفاظ :أرض ــ وجدت ــ سنوات : ان قصدت كذا وكذا، فرايى هو كذا أو كذا . لكن مور ينكر الاشكالويقول : « يبدو لى ان هذا الرأى خطأ اشد ما يكون الخطأ . ذلك ان هذا التعبير : « الارضوجدت منذ سنوات عديدة خلت » ــ هو النموذج الاصدق للقول المحدد ، ونحن نفهمه جميعا علىسواء » (٥) .

وتبعا لهـذه النزعة يرى مـور ان اللغـةالعادية تفيدنافى تحديد ما يعتقده ويؤيدهالاحساس العام ، ومن هنا نراه يتخذ منهـا معيـارا لمعنىالقضايا . ويصـل من هـذا ــ فيما يحسب ــ الى بيانان كثيرا منالمشاكل التى حيـّرت الفلاسفةترتد بعد التحليل الى مشاكل خاوية من كل معنى، ذلك اننا فى صياغتنا لهذه المسائل الفنا بينعباراتتتنافى مع استعمالاتها فى اللغة العادية ، مع أنهـا لا معنى لها الا بفضل هذه التعبيرات (٦) .

فلما هوجم رأيه هذا على أساس أن اللغـةالعادية حافلة بالتعبيرات المشتركة ، وأنها عاطفية، انفعالية ، ولا تعبر بدقة عن الفكر المنطقى ، وانـنموها وتطورها لم يخضع لاعتبارات عقلية منطقية، بل لاعتبارات لاواعية على مدى التاريخ اللغـوىللغة ما ــ راحيعدلمن رأيه ويقول:«حينما تحدثت

---

(٢) هذا التعبير قد استعمله الجوينى فى كتاب « الشامل »وهو يعبر حرفيا عن اللفظ الانجليزى . لهذا وجدته خير ترجمة له ، اذ الجوينى يستعمله بالمعنى المقصود مناللفظ الانجليزى تماما .

(٣) Moore G. E. : Some main problems of Philosophy, Chap. I London 1953.

(٤) المرجع السابق ص ١٧ .

(٥) المرجع نفسه ص ١٩٨ .

(٦) راجع شرح الآنسة سوزان استبنج لراى مور فى اللغةالعادية Stebbing G. : "Moore and Ordinary Language" in The Philosophy of G.E. Moore, p. 349

عن تحليل شيء ما ، فان ما قصدت تحليله هو تصور أو قضية ، وليس التعبير اللفظى عنها » (٧) . ويقر صراحة بأن اللغة العادية فى كثير من الاحوال تخطىء فى التعبير ، « فاللغة لا تعطينا وسيلة للاشارة الى موضوعات مثل « أزرق » ،و « أخضر » ، و « حلو » ــ الا بأن تطلق عليها اسم « احساسات » . وهذا هو ما يضللنا حينما نحاول أن نفكر فى العلاقات بين الشعور وبين موضوعات الشعور (٨) . ويؤكد أنه « من الغريب جدا أن اللغة قد نمت وكأنها وضعت صراحة من أجل تضليل الفلاسفة ، ولا ادرى لماذا كان عليها أن تفعل ذلك . ولكن يبدو لى انه لا شك فى انها فى كثير من الاحوال قد فعلت ذلك » (المرجع نفسه ص ٢٩٠) .

وهكذا انتهى مور الى الاقرار بفساد المبدا الذى دعا اليه ، وهو استخلاص الحقائق من اللغة العادية بوصفها مستودع آراء الاحساس العام .

أما رسل Russell فقد بدأ باتخاذ موقف مور ، كما صرح بذلك فى مقدمة كتابه « مبادىء الرياضيات » (سنة ١٩٠٣) ، بأن اطرح مذهب برادلى Bradley — ممثل الهيجلية الجديدة فى انجلترا ــ الذى رأى ان كل ما يعتقده الاحساس العام هو مجرد ظاهر لا حقيقة له ، وذهب ، كما ذهب مور ، الى أن كل ما يرى الاحساس العام ــ غير متأثر بالفلسفة أو اللاهوت ــ انه واقعى فهو واقعى . غير انه ما لبث ان عدل فى هذا الموقف بعد ما تبين له من سذاجته ، واستقر به الرأى الى ان ما يقول به الاحساس العام هو شكل فج من المعرفة العلمية خال من كل نقد ، ورأى رسل ان مهمة الفلسفة هى التحليل الذى يفحص ــ بصبر واستدلال تفصيلى ــ عن الافكار ويوضحها . غير انه وان دعا الى التجريبية Empiricism فانه عارض فى التجريبية المحض التى تدعو اليها الوضعية المنطقية . ويقرر : « اننا نؤمن ايمانا راسخا اننا نعرف أشياء تنكرها التجريبية المحض . ولهذا ينبغي علينا ان نبحث عن نظرية فى المعرفة غير التجريبية المحض » (٩) . وفى مقال له مشهور نشره فى مجلة « الميتافيزيقا والاخلاق » (١٠) المشهورة فى فرنسا يقول : « ينبغى أن يلاحظ ان المعرفة الرياضية تحتاج الى مقدمات لا تقوم على الوقائع المحسوسة . وهذا يخالف نظريات التجريبيين . ان كل قضية عامة تتجاوز حدود المعرفة الحسية ، اذ هذه مقصورة على ما هو جزئى فحسب ... وهكذا نجد ان المنطق والرياضيات يرغماننا على الاقرار بنوع من الواقعية بالمعنى الاسكلائي (١١) ، اعني ان ثم عالما من الكليات والحقائق . فعالم الكليات هذا لا بد من الابقاء عليه » .

وبهذه المناسبة ينبغى ان نقرر هاهنا ان رسل لم يول اهمية فلسفية للمنطق الرياضى الا فى أولياته . فهو يقول بكل وضوح : « ان المنطق الرياضى ، حتى فى أحدث أشكاله ، ليست له اهمية فلسفية مباشرة ، اللهم الا فى أولياته . لكن بعد هذه الاوليات فانه ينتسب الى الرياضيات

---

(٧) Moore G. E. : "A Reply to My Critics", in **The Philosophy of G.E. Moore,** edited by P. A. Schilpp, New York, 1942, p. 661.

(٨) Moore G. E. : "The Refutation of Idealism", in Philosophical Studies, p. 19.

(٩) Russel B. : "The Limits of Empiricism", in **Proceedings of the Aristotelian Society,** 1936.

(١٠) Russell B. : "L'importance Philosophique de la logistique" in Revue de Métaphysique et de Morale 1911, 289-290.

(١١) وهو الرأى الذى يقول ان للكليات وجودا حقيقيا ، فى مقابل موقف الاسميين nominalists الذين كانوا يرون ان الكليات ليس لها وجود حقيقى ، وما هى الا اسماء واصوات .

احرى منه الى الفلسفة » (« معرفتنا بالعالم الخارجـي ص ٥٠ « Our Knowledge of the External World .

وقد أهتم رسل اهتماما بالغا بمسألة اللغة والعلاقة بينها وبين المنطق . وقد بدأ بأن اكد ان « تأثير اللغة في الفلسفة كان عميقا ولم يول الانتباه الكافي . فان كان علينا الا ننخدع بهذا التأثير فمن الضروري ان نكـون على وعي به ، وان نسائل انفسنا الى اي مدى هذا التأثير مشروع » (Logical Atomism, p. 367) .

لكنه نبذ ما ذهب اليه مور مـن ان اللغة العادية تصلح ان تكون معيارا لمعنى القضـايا . فقال : « ينبغي في محاولتنا التفكير الجاد ، الا نقنع باللغة العادية ، بما فيها من اشتـراك في المعاني وما لها من نظم syntax مروع . وانا مقتنع تماما بأن التشـبث العنيـد باللغـة العادية في افكـارنا الخاصة هو واحد من المصاعب الاساسية في سبيل التقدم في الفلسفة . وان كثيرا مـن النظريات الحالية لا يمكن ان يعبر عنـه بأية لغة دقيقـة . واحسب ان هذا هو السبب في عدم شيوع مثل هذه اللغة » (١٢) .

نقد رسل اذن اللغة العادية بوصفها غير قادرة على التعبير بدقة عن الفكر العلمي ، فراى ان اللغة تضللنا سواء بالفاظها وتراكيبها ، ولهذا ينبغي علينا أن نأخذ حذرنا منها . ولابد أولاً أن نميز بين الشكل النظمي syntactical form للجملة من ناحية ، وبين شكلها المنطقي ، لان الاول لايناظر دائما الثاني . واكثر من هذا ، كثيرا ما يضلنا الاول عن الثاني ويولـد الوانا من التشويش الفكـري والخلط المنطقي . يقول رسل : « ان تأثير الالفاظ ينحو نحو نوع من التكثر الافلاطوني (١٣) للاشياء والافكار . أما تأثير النظم (أو تركيب الجملة) فهو ــ فيما يتعلق باللغات الهندية الاوروبية ــ مختلف تماما . ويكاد يكون من الممكن وضع كل جملة على شكل مؤلف من موضوع ومحمول بينهما رابطة تربط بينهما . ومن الطبيعي ان نستنتج ان كل واقعة يناظرها شكل ويقوم على امتلاك شيء لصفة » (١٤) . ويرى رسل ان رد كل قضية الى هذه الصورة : موضوع + رابطـة + محمول ــ قد ادى الى كثير من المشاكل الزائفة والوان من الخلط في الفلسفة ، وانـه اذا اطرح هذا القـول لادى الى زعزعة اساس كثير من المذاهب الفلسفية ، مثل مذهب ليبنتس ، وهيجل ، وبرادلي . صحيح انه لايذهب الى ان كل الافكار الفلسفية قائمة على هذا الخلط بين الشكل النحوي والشكل المنطقي للقضية ، لكنه يرى ان كثيرا من الافكار الفلسفية يقوم عليه ، كما لاحظ ماكسويل شارلزورث بحق (١٥) . وأمر آخر ، وهو انه يمكن ان يستخلص من هذا التمييز بين الشكل النحوي والشكل المنطقي انه ليس من الضروري أن تكون القضية أما صادقة أو كاذبة ، بل يمكن أيضا أن تكون خالية من المعنى . والقضية الخالية من المعنـى هي تلك التي فيهـا خلط بين الانماط المنطقية في تعابيرها المـؤلفة لها ، مثـل القضية : سقراط هو هو . ولهذا ينبغي أن نقول بنوع ثالث من القضايا هو : القضية الخالية من المعنى ، الى جانب القضية الصادقة ، والقضية الكاذبة .

---

(١٢) RussellB. : Reply to Criticism " in the **Philosophy of Bertrand Russell**, p. 694. Ed. by P. A. Schilpp, New York, 1944.

(١٣) اى على نحو ما يجعل افلاطون من المثل (او الصور) ماهيات عديدة متكثرة .

(١٤) Russell B. : Logical Atomism, p. 368.

(١٥) Maxwell John Charlesworth: **Philosophy and Linguistic Analysis** P. 54. Louvain, 1961.

وقد افدنا كثيرا من هذا الكتاب في القسم الاول من هذا البحث.

واللغة العادية تخلط بين الشكل النحـوي والشكل المنطقي ، ومن هنا كانت مصدرا مستمرا لخلط الامور . فابتغاء التحرر من هذا الخلط ينبغي على الفلسفة أن تضع لنفسها لغة سليمة ، ستكون هي اللغة المثالية التي يتطابق فيها الشكل النحوي مع الشكل المنطقي . لكن رسل يتنصل من دعوى قيام لغة مثالية . اذ يقول في رده على بلاك (١٦) Black الذي افترض ان رسل يدعو الى مثل هذه اللغة : « لم اقصد أبدا الى القول بانه ينبغي ابتكار مثل هذه اللغة ، الا في بعض الميادين ومن أجل بعض المسائل . » (١٧) هذه اللغة المثالية لا فائدة منها في الحياة اليومية ، وانما الفرض منها مزدوج : أولا التنبيه الى منع الاستنتاج مـن طبيعة اللغة للاستدلال على طبيعة العالم ، لان مثل هذا الاستنتاج زائف ، لانه يقوم على نقائض منطقية في اللغة ، وثانيا ان نـدل ، ببحثنا عمـا يحتاج اليه المنطق من اللغة ، على اى نوع مـن التركيب يمكننا أن نفترض ان العالم يملكه .

ويقسم رسل الفلاسفة الى ثلاثة أنماط : فيما يتصل بالعلاقات بين الالفاظ وبين الوقـائع غير اللفظية :

(أ) فلاسفة يستنتجون خواص العالم من خواص اللغة ، ويؤلفـون نخبـة ممتـازة ، ويندرج تحتهم : برمنيدس ، وأفلاطون ، وسبينوزا ، وهيجل ، وبرادلي .

(ب) فلاسفة يقررون ان ثم معرفة لا يمكن التعبير عنها بالالفاظ ولكنهم يستعملـون الفاظا ليخبرونا عن ماهية هذه المعرفة . ومن هؤلاء : برجسون وفتجنشتين ، وبعض جوانب من هيجل وبرادلي .

(جـ) فلاسفة يقررون ان المعرفة هي فقط معرفة بالفاظ .

ويرى رسل ان النوع الثاني يمكن استبعاده ، لانه متناقض مع نفسه . والنوع الثالث يصطدم بهذه الحقيقة وهي اننا نعرف اى الفاظ ترد في جملة ، وهذه الحقيقة ليست لفظية ، وان كانت لا غنى عنها بالنسبة الى اللفظيين . وعلى هـذا لم يبق من بين الانواع الثلاثة الا النوع الاول ، فهو وحده الجدير بالاعتبار . (١٨) ومعنى هذا اننا نستطيع أن نستنتج بعض خواص العالم من خواص اللغة ، لكن خطأ المثاليين هو انهم استنتجوا حقائق عن العالم من حقائق عن لغة غير سليمة . فاذا عرفنا الشكل الحقيقي للتعابير ، استطعنـا أن نستنتج ماهي الحقائق الجديرة بان تكون تعبيرا عن مثل هذه الاشكـال المنطقية . لكـن يلاحظ شارلز ورث بحق اننا لا نستطيع أن نكتشف الشكل المنطقي لقضية قبل أن ندرك معناها ونشير الى الوقائع ، فلا معنى اذن للتحدث عن استنتـاج تركيب الوقائع من تركيب اللغة السليمة أو مـن الشكل المنطقي .

وقد ادت هذه النظرة برسل الى وضـع نظريتين : الاولى نظرية الانماط ، والثانية نظرية الاوصاف المحددة . وخلاصة نظرية الانماط انه لا توجد علاقة معنى واحدة بين الكلمات وبين ما تدل عليه ، بل توجد من علاقات المعاني بقدر مـا هنالك من انماط منطقية قائمة بين الاشياء التي

---

(١٦) Black M. : "Russell's Philosophy of Language", in **The Philosophy of Bertrand Russell**, pp. 229-255.

(١٧) Russell B. : **Reply to Criticisms,** in **The Philosophy of Bertrand Russel** : p. 693.

(١٨) Russell B. : **My Mental Development,** p. 341.

(١٩) Charlesworth M. G. : **Philosophy and Linguistic Analysis,** p. 71. Louvain, 1961.

تدل عليها الكلمات . وينتهى من ذلك الى القول باعداد كبيرة من الاضافات بين الموضوع والمحمول وبمــا يعرف فى المنطق الرمــزى الآن بالخواص الصورية للاضافات : اضافة التماثل (على زوج فاطمة ــ فاطمة زوج على) ، اضافة التعدى (٥> ٧ ، ٧ > ١٠ .·. ٥ > ١٠) ، اضافة الواحد والواحد أو الواحــد والكثير أو الكثير والواحــد (أ دائن لـ ب ، علي أبو الحسين ، ٥ اكبر بواحد من ٤) ، وهكذا .

اما الوصف المحــدد فهو تعبــير شــكله النحوى هو : « كذا ــ وكذا » ، مثلا « مــؤلف اللزوميات » ، « أطول طالب فى الفصل » ــ فهذا الوصف لا يمكن أن ينطبق الا على شخص واحد : أبو العلاء المعرى فى قولنا : « مؤلف اللزوميات » ، والطالب المعين فلان فى القول الثانى . وخاصية هذا النوع انه يتعلق بالصفة ، لا بالشيء .

• • •

ومور ورسل يفضيان بنــا الى فتجنشتين (١٨٨٩ ــ ١٩٥١) الذى اعلن صراحة انه يدين لاعمال فريجة العظيمة وكتابات رســل بانعاش افكاره (٢٠) واثارتها . ومن الأخطاء الفاحشة ــ الشائعة مع ذلك ــ أن يقال انه من انصار الوضعية المنطقية ، أو انه من مؤسسى دائرة ڤينا : فلقد طالما أعلن براءته من الوضعية المنطقية ، كما انه من الثابت تاريخيا أنه لم ينضم الى دائرة ڤينا التى كان مؤسسوها هم مورتس اشلك ، ڤــايسمان Waismann وكرنب Carnap ، كما بين ذلك بكــل يقين تلميذه المخلص انسكومب (٢١) وكذلك فتكوركرافت فى كتابه عن تاريخ دائرة ڤينا (٢٢) .

يرى ڤتجنشــتين ان كثيرا من المشــاكل الفلسفية هى زائفة ، لانها انما تقوم على سوء فهم لمنطق اللغة . وسوء الفهم هذا انما ينشأ ــ فى نظره ــ عن الخلط بين الشكل المنطقى الظاهرى للقضايا وبين الشكل الحقيقى أو الواقعى . وهذا بعينه ما بينه رسل من قبل حين ميز بين الشكل النحوى والشكل المنطقي . يقول ڤتجنشتين : « كثيرا ما يحدث فى اللغة اليومية ان نفس الكلمة تعبر بطريقتين مختلفتين ــ وبالتالى ترجــع الى رموز مختلفة ــ او ان كلمتين ، تدلان ــ بطريقة مختلفة ــ تستعمل فى الظاهر بنفس الاستعمال فى القضية . فمثلا الفعل : « يكون » يظهر فى الرابطة على أنه علامة المساواة ، وانه تعبير عن الوجود ، « فيكون » (تبدو) كأنها فعل لازم مثل : « يذهب » . . . ومن هذا ينشأ معظم الخلط الاساسي الذى تحفل به الفلسفة » (٢٣) .

ويقصد ڤتجنشتين من هذا الى القول بأن بعض التعابير صارت تستعمل فى الجمل أو القضايا دون أن تدل على المعنى المقصــود منها ، وهــذا يضللنا احيانا فنستمر على اعتقاد انها لا تزال تدل على ذلك المعنى . فمثلا فعل الكينونة فى اللغــات الثلاثية (أى التى يظهــر فيها بصراحــة فعــل الكينونة) : ist, est, is الخ ، أما اللغة العربيــة فثنائية اذ تكتفى بالمبتدأ والخبر دون ذكر لفعل الكينونة محمد رسول ، بدلا من : محمد (يكون) رسولا . واللغة الفارسية تستعمل الوضعين : فهى عادة ثلاثية ، فتستعمل فعل الكينونة : است ، أو تستعيض عنه بياء اضافة : فتقول فى الحــالة

---

(٢٠) Ludwig Wittgenstein : **Tractatus Logico-Philosophicus**, p. 28 London, 1922.

(٢١) Anscombe G. E., in **Tablet** (London), April 17, 1964, p. 373

(٢٢) Kraft V. : Der Wiener Kreis : Der Ursprung des Neopositivismus, Wien, 1950.

(٢٣) **Tractatus,** 4. 0031

الاولى : زيد دبير است ، وفى الحالة الثانية : زيد دبير (= زيد كاتب) ـــ نقول أن فعل الكينونة فى اللغات الثلاثية (موضوع + فعل كينونة + محمول) هو فى الاصل يدل على الوجود ، ولكننا صرنا نستعمله فى هذه اللغات أحيانا بما يتنافى مع معنى الوجود ، فنقول مثلا : الدائرة المربعة تكون ليست موجودة un cercle carré n'est pas

ولهذا يميز بين التصورات الحقيقية والتصورات الشكلية : فالتصور الحقيقى هو التصور الذى يمكن ان يستبدل بالمتغير س فى دالة قضائية مثل : « س يوجد » . ومن امثلة التصورات الحقيقية : انسان ، تنين ، فرس ، الخ . أما التصور الشكلى فهو مثل : مركب ، دالة ، عدد . ويرى فتجنشتين ان الخلط بين التصورات الحقيقة والتصورات الشكلية هو مصدر الكثير من الاخطاء ، ويشيع فى كل المنطق القديم ، وهو الاساس فى القضايا الزائفة الخالية من المعنى فى الميتافيزيقا (٢٤) .

لكنه مع ذلك لا يرى العدول عن اللغة اليومية : اذ يقول : « حين أتحدث عن اللغة ، يجب عليَّ ان أتكلم اللغة اليومية . هل هذه اللغة غليظة جاسية للتعبير عما نريد أن نقوله ؟ اذن فكيف نبنى لغة أخرى ؟ وما اغرب ان نكون قادرين على فعل شىء بمعونة اللغة التى نملكها ! اننى حين اسواق ايضاحات فان عليَّ ان استعمل اللغة بكاملها (لا ان استخدمها استخداما تمهيدا مؤقتا) وهذا وحده يدل على اننى لا استطيع ان استنتج غير وقائع خارجية عن اللغة . لكن كيف يمكن هذه الايضاحات بعد ذلك ان ترضينا ؟ ـــ نعم ، ان اسئلتكم نفسها مصوغة فى هذه اللغة نفسها : ولابد من التعبير عنها بهذه اللغة ، اذا كان ثم مجال للسؤال (٢٥) وينتهى الى القول بان الفلسفة لا يحق لها ان تتدخل فى الاستعمال الجارى للغة ، وكل ما تستطيعه هو أن تصفه ، لانها لا تستطيع ان تبين الاساس فيه . وتبعا لذلك يرى انه لا محل للتحدث عن « لغات مثالية » ، كما ذهب الى ذلك رسل ، وان كنا رأيناه قد عدل بعد ذلك عن دعواه هذه . لان فتجنشتين يرى ان اللغات المثالية ان هى الا لغات صناعية ، واللغات الصناعية أوهام أو مواضعات لا قيمة لها الا فى أيضاح اللغة اليومية ، ولا يمكن ان تقوم مقامها .

اذن ما معنى دعاوى مور ورسل وفتجنشتين ؟

انها تنتهى كلها الى الرجوع الى اللغة العادية، بكل ما فيها من غموض واشتراك فى المعنى ولبس ناجم عن ذلك الاشتراك . وكل ما فى الامر انهم دعوا الى تحليل وتعمق تحليل التراكيب اللغوية لبيان انطباقها أو عدم انطباقها على المدلولات المنطقية لها ، ثم التعبير بعد ذلك عن العمليات برموز .

على ان لفتجنشتين نظرية فى المعنى تستحق الوقوف عندها قليلا . فهو فى « المباحث الفلسفية » يهتم بتفسير المعنى . ماذا يقصد به ؟ فيلاحظ أولا ان معنى كلمة ما هو الشىء الذى تعبر عنه الكلمة أو تشير اليه أو ترمز اليه . لكن هذا التعريف غير كاف : لانه ان صح بالنسبة الى كلمات مثل : قلم ، كتاب ، فرس ، نظارة ، فهو لا يصلح لكلمات مثل : « اثنان » (٢) ، « لهذا » ، « لا » ، « ليس » الخ . ومن الخطأ ان نسأل : ما معنى هذه الكلمات الاخيرة ، وانما السؤال الذى ينبغى علينا أن نضعه هو : كيف تستكمل هذه الكلمات ؟ أما المقابل أو ما يشير أو يرمز الى فهو نوع من

---

(٢٤) Wittgenstein : **Tractatus**, 4.126, 4.127.

(٢٥) Wittgenstein : **Philosophical investigations**, p. 48

المعانى ، أو طريقة من الطرق التى بها تستعمل الكلمات ومن هنا انتهى فتجنشتين الى ان المعنى ليس شيئا وراء سلوكنا اللغوى ، بل هو عملية سلوك لغوى ، واذن فالمعنى هو الاستعمال . ولهذا ينبغى علينا ــ بدلا من أن نسأل : ما معنى س ؟ ــ أن نسأل : كيف يستعمل س ؟ فى أى عبارات يستعمل س ؟ فاستعمال الكلمات يتوقف على أشكال الحياة ، وثم من الاستعمالات بقدر ما هنالك من اشكال للسلوك فى الحياة . « فكر فى الادوات الموجودة فى صندوق أدوات : ان فيه مطرقة ، وكماشة ، ومنشارا ، وبريما ، ومسطرة ، وغراء ، وقدر غراء ، ومسامير وقلاووظ ــ ووظائف الكلمات تختلف كما تختلف وظائف هذه الادوات » (٢٦) .

كذلك تختلف صور الجمل . فالمناطقة جروا على تقسيم الجملة الى ثلاثة انواع : تقرير ، واستفهام ، وامر . وقالوا ان التقرير هو الاصل لان كلا النوعين الآخرين يمكن ان يرد اليه . فمثلا اذا قلنا : هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ؟ ــ يمكن ان نعدل صورة هذا الاستفهام فنحيله الى تقرير ونقول : لست ادرى هل اتى على الانسان الخ : لكن فتجنشتين يعارض فى هذا التحويل أو المناب ، لان الانسان يستعمل كل شكل من هذه الاشكال الثلاثة فى سياق خاص ولغرض خاص : فيستعمل الاستفهام حين يريد ان يستعلم عن شىء ما ، ويستعمل الامر ليعطى معلومات . وعلى هذا فكل نوع منها مستقل قائم بذاته لا يمكن تحويله الى الآخر .

●●●

ونظرية فتجنشتين فى المعنى هى التى نماها واحتفل لها من يسمون باسم « فلاسفة اكسفورد » ، وابرزهم جلبرت رايل Gilbert Ryle (ولد سنة ١٩٠٠) وجون أوستن (ولد سنة ١٩١١) ، ومعهم نجد هارت H. L. A. Hart واسترُوسن P. F. Strawson وهمشير S. Hamphsire وهير R. M. Hare وتوملين S. E. Toumlin ونوول اسمث P. Nowell-Smith وقد عقدوا ندوة فى Royaumont بالقرب من باريس جمعت اعمالها بعنوان : « الفلسفة التحليلية » (٢٧) دار البحث كله فيها حول أهمية تحليل اللغة ، بوصف ذلك المهمة التى اخذها هؤلاء على عاتقهم . ويقول ارمسون G. Urmson فى وصف اتجاههم هذا : « ان فلاسفة اكسفورد يقبلون على الفلسفة ــ كلهم تقريبا بدون استثناء ــ بعد دراسة عميقة جدا للانسانيات الكلاسيكية . وهم لهذا يهتمون تلقائيا بالكلمات ، والنظم Syntax والعبارات الخاصة بكل لغة لغة . وهم لا يشاءون ان يستعملوا التحليل اللغوى من أجل حل مسائل الفلسفة فقط ، وانما يهمهم الفحص عن اللغة بما هى لغة . ولهذا فان هؤلاء الفلاسفة ربما كانوا أكثر استعدادا وميلا من معظم الفلاسفة فيما يتعلق بالتمييزات اللغوية . وعندهم ان اللغات الطبيعية ، التى اعتاد الفلاسفة ان يدمغوها بانها عاجزة عن التعبير عن الفكر ، انما هى فى الواقع تحتوى على ثروة من التصورات والتمييزات البالغة الدقة ، وتؤدى العديد من الوظائف التى يظل الفلاسفة فى العادة عاجزين عن ادراكها . وفضلا عن ذلك ، فانه ما دامت هذه اللغات نمت وتطورت من اجل اشباع حاجات اولئك الذين يستخدمونها ، فانهم يرون من المحتمل انهم لا يستمسكون الا بالتصورات المفيدة والتمييزات المجزئة ، وان هذه اللغات دقيقة حيثما احتيج الى الدقة ، وغامضة حيثما لا يحتاج الى التدقيق . وكل أولئك الذين يحسنون لغة من اللغات لهم من غير شك سيطرة ضمنية على هذه التصورات

---

(٢٦) المرجع السابق ص ٦ . **Philosophical Investigations**, p.6.

(٢٧) La Philosophie analytique, Paris, Editions de Minuit, 1962 (**Cahiers de Royaumont Philosophie**, no. IV).

وتلك التدقيقات . ولكن الفلاسفة فى نظر مدرسةاكسفورد ــ الذيـن يسعـون الى وصف هـذه التصورات وتلك التدقيقات : اما انهم يسيئون فهمها أو يبسطونها الى أقصى درجة . وعلى كل حال ، فانهم لم يفحصوها الا فحصا سطحيا . والثروات الحقيقية التى تنطوى عليها اللغات تبقى مدفونة .

« ولهذا فان مدرسة اكسفورد كرّست نفسها للدراسات فى غاية الاستقصاء والتعمق والتدقيق للغة المعتادة ، وهى تأمل من وراء هذه الدراسات ان تكتشف الثروات الدفينة وان تلقى الضوء على تمييزات ليست لدينا عنها غير معرفة غامضة ، وذلك بوصف الوظائف العديدة لكل أنواع التعبيرات اللغوية . ومن الصعب وصف هذا المنهج بعبارات عامة . وفى أغلب الاحيان يدرس تعبيران أو ثلاثة ، تبدو فى الظاهر مترادفة ، ثم يبرهـن على انـه لا يمكن استخدامها بدون تفرقة ، فيفحص عـن سياقات الاستعمال ، ويسعى الى ايضاح المبدا الذى يهيمن على الاختيار » (٢٨) صحيـح أن الفلاسفة طالما وجهوا انتباههم الى تعريف المعانى بدقة ، لكن « فلاسفة اكسفورد » يعتقدون ان الفلاسفة السابقين لم يولوا هذا الامر عناية كافية ، ولم يتعمقوا فى فهم المعانى بحسب مواضعها من السياق . أما هم ، أى فلاسفة اكسفورد ، فانهم يكرسون مؤلفات أو مقالات مسهبة قائمة براسها لامور كان الفلاسفة السابقون يجهزون عليها فى بضعة أسطر .

ومن اهم ما انتهوا اليه نظريتهم فى المعنى ، وهى مستمدة كما قلنا من فتجنشتين ، وخلاصتها ان الكلمات ذوات طرق مختلفة فى المعنى ، وان معنى اية كلمة يتوقف دائما على السيـاق الذى تستعمل فيه . ولهذا نتائج : أولها ان كل نـوع من القضايا لـه ضرب خاص مـن المعنى ومـن التحقيق ، وثانيها : انه لابد من تعديل التمييز بين القضايـا التحليلية والقضـايا التركيبية ، وثالثها : تعديل تصور دور التحليـل الفلسفى وطبيعته .

ولهذا ينبغى علينا ان نقر بأن ثمة عـددا من الوظائف اللغوية المتميزة ، وان التعابير لا معنى لها الا فى سياق . فلا ننظر الى « الشىء » الذى يشير اليه التعبير ، بل الى « المنـاسبة » التى تعطى لاستعمال التعبير معنى . وبـدلا من ان نسأل : ما معنى كلمة س ؟ علينا ان نسأل سؤالين : الاول هو : لاى غرض تستعمل الكلمة س ؟ والثانى : ماهى الشروط التى بها يكون استعمـال الكلمة س صحيحا ؟ والنتيجة لهذا انه لا توجد أصناف أو طوائف من الوظائف اللغوية المحددة الثابتة ، بل يتوقف الامر على السياق وظروف الاستعمال .

وهنـا يضع جـون اوستن John Austin تفرقة بين ما يسميه بـ « الاقوال الانجازيـة » Performatory utterances وبين « الاقوال الشاهدة » . فحين اقول : « س صادقة » فانى أستطيع الاستعاضة عنها بقولى : « أنا أؤكد س » ، وهذه العبارة الثانية هى انجاز لغوى ، اذ الكلمة : « أؤكد » لا تصف بل تنجز مهمة التوكيد . ومثل هذه الجمل لا يقال عنها حقا انها صادقـة أو كاذبة . ولكنها مع ذلك ذوات معنى . ولهذا فان بين « صادقة / كاذبة » من ناحية وبـين « خالية من المعنى » يوجد نوع ثالث . (٢٩) .

اما فيما يتعلق بالتمييز التقليدى بـين القضايا التحليلية والقضايا التركيبية ، وهـو الذى وضعه كنت Kant ويقوم على أساس ان ثم قضايا لا يحتوى محمولها الا على مضمون موضوعها ،

---

(٢٨) الكتاب المذكور ، ص ١٩ وما يتلوها .

(٢٩) راجع John Austin : **Other Minds**

وتسمى قضايا تحليلية ، مثل الجسم ممتـد ، اذ « الامتداد » متضمن فى « الجسم » ، وقضايا تركيبية ، وهى التى يضيف فيها المحمول الى ماهية الموضوع صفات أو احكاما جديدة ، مثل ٥+٧ = ١٢ ، مجموع زوايا المثلث يساوى قائمتين ، الخ فان العدد ١٢ فيه اضافة الى معنى ٥ ومعنى ٧ ، وكون زوايا المثلث تساوى قائمتين هو معنى أكثر مما فى تعريف « المثلث » (٣٠) .

لكن اذا قلنا ــ هكذا يرى اوستن واصحابه من اساتذة اكسفورد ــ ان معنى التعبير يتوقف على السياق الذى يستعمل فيه ، فانه لا محل للتحدث عن قضايا تحليلية . فمثلا اذا قلنا : « الامانة محمودة » فان هذه القضية تعد فى نظرهم تحليلية ، على اساس أن الامانة والثناء عليها يسيران معا ، بحيث اننا لو قلنا : « الامانة ليست محمودة » فانه يبدو على هذه القضية طابع التناقض . فأساس الوصف بـ « تحليلية » لقضية ما هو ما سار عليه الوضع فى الاستعمال اللغوى المعتاد .

ويشيد « فلاسفة اكسفورد » هؤلاء باللغة المعتادة ، ويزعمون ان معانى الكلمات فى هذه اللغة المعتادة لا يشوبها غموض ، ولا حاجة بالعاديين من الناس الى الفلاسفة ليحددوا لهم معانى الكلمات بدقة ! ولا اساس لدعوى الفلسفة انها صاحبة الحق فى تحديد الاستعمال الصحيح للكلمات . وهكذا ذهب هؤلاء بالنسبة الى اللغة العادية الى ما ذهب اليه جورج مور بالنسبة الى الاحساس العام ، كما بينا من قبل .

لكن ، اذا صح هذا فهل لا يوجد اخطاء مصدرها اللغة ؟

يجيب هؤلاء بالايجاب ، ولكنهم يرجعون الخطأ الى الخلط بين الاشكال المنطقية للتعبيرات المتعارضة . ويقصدون بالنمط المنطقى الذى ينتسب اليه معنى انه مجموعة الطرق التى يحق لنا بها ان نستعمله استعمالا منطقيا مشروعا (٣١) .

ومع ذلك اضطر هؤلاء الى الاقرار بما وجه الى اللغة من نقد فيما يتعلق بالدقة ، ولهذا تراجعوا عن اشادتهم المبالغ فيها هذه باللغة العادية وبالنتائج المستمدة من تحليلها . ومن هنا نجد رايل Ryle ــ وكان من اشدهم حماسة للغة المعتادة ــ يضطر الى وضع تفرقة بين ما يسميه الـ ordinary use والـ Ordinary usage ، ويمكن ان نترجم الاول بـ : « الاستعمال المعتاد » ، والثانى بـ « العرف الجارى » . (٣٢) بيد أنه لا يوضح لنا تماما ما معنى هذه التفرقة بالنسبة الى المسألة الرئيسية وهى : ما قيمة تحليل اللغة المعتادة فى أيضاح حقائق المشكلات ؟

وهكذا نرى انه حتى « فلاسفة اكسفورد » هؤلاء لم يأتوا بشىء ذى بال فى تحليلاتهم الفلسفية للغة . ماذا اقول ! بل هم يمثلون خطوة الى الوراء بالنسبة الى ما فعله اسلافهم : مور ورسل وفتجنشتين .

---

(٣٠) راجع كتابنا : « المنطق الصورى والرياضى » ص١٣٤ ، ١٣٥ . القاهرة ، ط ٣ سنة ١٩٦٧ .

(٣١) Ryle G. : **The Concept of Mind**, p. 8

(٣٢) Ryle G. : "Ordinary Language" in **The Philosophical Review**, 1953, p. 177.

النزعة البنياوية

ولندع هؤلاء الآن جانبا، ولنشرح نزعة اخرى أقرب الى الدراسات اللغوية منها الى الدراسات الفلسفية ، وهى النزعة البنياوية structuralisme

ويرجع الفضل فى أستعمـال معنى بنيـة structure فى الدراسات اللسانيـة الى عـالم اللغويات السويسرى الشهير فرديناند دى سوسير Ferdinand de Saussure (١٨٥٧ – ١٩١٣) وذلك فى المحاضرات التى القاها فى جامعة جنيف ،ثم نشرت بعد وفاته سنة ١٩١٦ تحت عنـوان : « محاضرات فى اللغويات العامة » (٣٣) ، صحيح انه لم يستعمل كلمـة Structure ، ولكنـه قصد معناها ، وذلك حين وضع مبدأ له فى دراسة اللغة قوله : « اللغة نظام Systeme لا يعرف غير نسقه الخاص به » (ص٤٣)، ويقرر مرة أخرى ان « اللغة نظـام » ينبغي بل يجب أن تعتبـر كل اجزائه من حيث تضامنها المتواقت » (ص١٢٤). ويتضح معنى فكرة البنية فى قوله : « انه لوهم كبير أن نعد اللفظ مجرد جمع بين صـوت معين وتصور معين . فمثل هذا التعريف مـن شأنه ان يعزل اللفظ عن النظام الـذى يؤلف اللفظ جزءا منه ، وان يوهمنا بان من الممكن ان نبدأ من الالفاظ لتأليف النظام وذلك باجراء عملية جمع بينها ، بينما الواجب هو الابتداء من الكل المتضامن ابتغاء ان نصل بالتحليل الى العناصر التى يتألف منها هذا الكل » (ص ١٥٧) . واذن فقد كان دى سوسير يستخدم كلمة : « نظام » بدل كلمة « بنية » التى يستخدمها اليوم أصحاب النزعـة البنياوية . لكن المقصود من حيث المعنى واحـد تماما . وعلى أثر دى سوسير صرح مييه Meillet «بان كل لغة لها نظام متسق تمام الاتساق ، محكم التأليف» (٣٤) ، واساد جرامون Grammont بما ذهب اليه دى سوسير من ان « كل لغة تؤلف نظاما متماسكا محكما ، تشد فيه الوقائع والظواهر بعضها بعضا ، ولا يمكن عزلها ولا ان تتنـاقض فيما بينها » (٣٥) .

ولكن النزعة البنياوية ، بالمعنى الحالى لها ، انما نشأت بفضل بحث قدمه ثلاثة لغويين روسيون الى المؤتمر الدولى (٣٦) الاول لعلماء اللسان الذى انعقد فى لاهاى بهولنده فى سنة ١٩٢٨ ، وهم : ر . ياكوبسون R. Jacobson و س . كارشفسكى S. Karcevsky ون . تروبتسكوى N. Troubetzkoy ثم أصدروا بيانا بعد ذلك أعلنوه فى المؤتمر الاول للغويين السلاف المنعقد فى براغ سنة ١٩٢٩ ، وبه بدأ نشاط دائرة براغ اللغوية . وفى هذا البيان ظهرت لاول مرة كلمة structure بالمعنى المستعمل اليوم ، اذ هم دعوا الى استعمال « منهج صالح للتمكين من اكتشاف قوانين بنية النظم اللغوية وتطورها » (٣٧) .

فالبنية معناها الترابط المحكم القائم بين اجزاء اللغة الواحدة بحيث ينتظم كل أشكـال هذه اللغة وصورها : سواء فى تركيب الاصوات ، وتركيب الجمل . فلا يمكن مثلا دراسة لفظ فى نظام معجمى الا بعد دراسة بنية اللغة التى ينتسب اليها هذا النظام المعجمى . « والنظام الصوتى للغة ما ليس هو المجموع الآلى للعناصر الصوتية phonèmes المنعزلة ، بل هو كلٌ عضوى ، أعضاؤه هى العناصر الصوتية وبنيته خاضعة لقوانين »(٣٧م) (المرجع نفسه ، ص ٢٤٥) .

---

(٣٣) Cours de linguistique generale, 3me ed. Paris, Payot ed ; 40 ed. Paris, 1949.
ونحن نحيل الى هذه الطبعة الرابعة .

(٣٤) Meillet A. : **Linguistique historique et linguistique generale**, h. 158. Paris, 1936.

(٣٥) Grammont : **Trait de phonétique**

(٣٦) راجع اعمال هذا المؤتمر ص ٣٦ – ٣٩ Actes du ler Congres international de linguistes,

(٣٧) **Travaux du cercle linguistique de Prague, I,** Prague, 1929 p. 8

(٣٧م) المرجع نفسه

وثم قسمات مشتركة بين النظم اللغويــةالمختلفة ، الى جانب الخصائص المستقلة التى لكل نظام نظام منها . فبعض الارتباطات اللغويةموجودة مشتركة بين عدة لغات ، وبعضها الآخر تنفرد به لغة من سائر اللغات ، أو مجموعة لغويةعن سائر المجاميع .

فالنظر الى اللغة على انها نظام عضوى ،والعمل على الكشف عن هذا النظام ــ هذا هــو ما تدعو اليه النزعة البنياوية structuralisme

وفى سنة ١٩٣٩ صدرت فى كوبنهاجن مجلةبعنوان : « المجلة الدولية للغويات البنياوية » فى تقديمهـــا بيّن فجو بروندال Viggo Brondal مالفكرة البنية structure من أهمية بالغة فىعلم اللسان،واشار الىالتعريف الذى يورده لالاند Lalande فىمعجمهللاصطلاح : بنية،وهوانهيدلعلى : « كل مؤلف من عناصر صوتية متضامنة ــ فىمقابل مجرد الجمع بين عناصر ــ بحيث يتوقف كل واحد منهـــا على الباقي ولا يمكن ان يكون ماهو الا فى وبواسطة علاقته مع الباقي » . كمـــا بين المشابهة بين نظرية الجشتالت فى علم النفس،وبين فكرة البنية فى علم اللسان . « فان نظرية الجشتالت تقوم على النظر الى الظواهر لا علىانها مجموعة منالعناصر التى يراد عزلها وتحليلها، وتشريحها ، بل على انها مجاميع مترابطة Zusammenhange تؤلف وحدات مستقلة وتكشف عن تضامن باطن ، ولها قوانينها الخاصة . وينتجعن هذا انحال كل عنصر يتوقف على بنيةالمجموع المترابط والقوانين التى تحكمه » (٣٨) .

وعلى هذا فان النزعة البنياويةفى الدراساتاللغوية تهدف الى بيانان اللغة نظام محكم مترابط الاجزاء ، له تركيب خاص ابتداء منه تفهمإشكالاللغة وتحولاتها . وكل لغة هى ــ أساساً ــ وحدة مستقلة « تتوقف اجزاؤها بعضهـــا على بعضباطنا »، وهذا الاعتماد الذاتي الباطنىهو مايسمى باسم : البنية . وكما يشرحها اميل بنفينيست :«ان المبدأ الاساسي (فىهذهالنزعة) هو ان اللغة تكوّن نظاما ، كل أجزائه متحدة بواسطة رابطةتضامنوتوقف بعضها علىبعض. وهذا النظام ينظم وحدات ، هىعلاقات مفصح بها ، تتفاضل ويحددبعضها بعضا . والمذهب البنياوى يقول بسيطرة النظام على العناصر ، ويهدف الى استخــلاصالنظام من خلال العلاقات القائمة بــين العناصر سواء فى السلسلة المنطــوق بهـــا وفى النمـــاذجالشكلية ، وبين الطابع العضوى للتغيرات التى تخضع لها اللغة » (٣٩) .

• • •

فاذا ما تركنا النزعة البنياوية جانبا الآن ،والتفتنا الى الوجودية اوجدنا هيدجر يعني باللغة وصلتها بفهم العالم عناية شديدة . ذلك انه راىفي اللغة افصاحا عن فهم العالم .

أن الانسان يسمع ويصغى ويسكت ، وهذايؤلف تركيبا اســاسيا في وجوده . والانســـان لايسمع لان له اذنين ، بل ان له اذنين لانه منحيث وجوده هو يسمع . فهو سامع بوجوده . والسمـــاع والاصغاء والســـكوت كلها امكانياتوجودية تنتسب الى الانسان بوصفه متكلما . ولو لم يكن متكلما لما كان ساكتا ، فالحجر مثلا لايتكلم،ولهذا هو لايسكت ، والانسان بحكم وجوده ، يفصح عن نفسه ، وهذا الافصاح عن النفس هو اللغة .

---

(٣٨) B. Brondal V. : **Acka linguistica,** I (1939) p. 10.

(٣٩) Emile Benveniste : **Problémes de Linguistique Generale,** p. 98 paris, 1968, Gallimard editeur.

واللغة سبيل الاتصال بين الذوات الوجودية والعلاقة بين المتحدثين هي علاقة انكشاف من الواحد للاخر . لكن هذا الانكشاف ما يلبث ان يتحول من كشف للاشياء الى كشف للتعبير عن الاشياء ، اى الى كشف لغة الحديث . فالمتحدث والسامع كلاهما يركز اهتمامه على فهم اللغة أكثر من اهتمامه بالكشف عن الاشياء المعبر عنها باللغة . ومن هنا تنتهي اللغة الى ان تكون هي موضوع اللغة بدلا من ان تكون وسيلة للكشف عن الموجود . فتنشأ الظاهرة التي يسميها هيدجر باسم Gerede اى الثرثرة ، والكلام الاجوف ، والاشاعة ، والكلام الضحل الذى لاينفذ الى حقائق الاشياء . فتستحيل اللغة حينئذ من وسيلة الى غاية . ويناظر الثرثرة الكلامية الثرثرة الكتابية Geschriebe التي تحول الكتابة من رموز للايضاح الى لعب بالرموز نفسها .

وكلا النوعين من الثرثرة يؤدى الى وهم ادراك كل شيء دون النفوذ الى شيء . وهذا يقف عائقا دون ادراك الاشياء نفسها . ومن هنا قال الشاعر العظيم هيلدرلن :« ان اللغة أخطر النعم » .

والواحد منا ينشأ في بيئة عمادها الثرثرة ، وينمو وينضج على الثرثرة بنوعيها ، وهذا من الاسباب الرئيسية في سقوط الوجود الانساني Verfallen فمن منا لايخضع لتأثير هذه الثرثرة؟ انها هي زادنا في تفكيرنا واحكامنا .

ان الوجود — في — العالم بين الناس يحيل الانفتاح على العالم الى انقطاع عن العلاقات الاولية مع الذات ، ومع الموجودات ، ومع العالم .

لقد قصد باللغة أو القول في البداية ان تكون اداة فهم ، واذا بها قد صارت اداة سوء فهم .

كان التبليغ في الاصل اساسا للفهم ، واذا به لايكون ممكنا الا مع وجود سوء فهم متأصل .

لقد كانت اللغة من فعل الانسان ، وبها يتميز من الحيوان . واذا بها تحدث اثرها في الانسان ، بحيث صار الانسان يوجد بقدر ما يتكلم . فثم ارتباط وثيق اذن بين القول والوجود لدى الانسان . وبين حدوث الوجود وبين اللغة ثم نوع من الدور . لقد صارت اللغة هي التي تعطي الوجود للاشياء . والانسان لايوجد — في — العالم الا بقدر ما يملك لغة . الانسان مشروع ذاته . ولكن هذا المشروع يخطط بالقدر الذى به اللغة ليست من خلق الانسان الذى يتكلمها ، بل هي امر يتقبله . فاللغة تجعل الاشياء الغائبة حاضرة ، وغير الموجودة موجودة ، والبعيدة قريبة .

وفي الفصل ٣٤ من كتابه «الوجود والزمان» بعنوان : « الآنية والقول ، اللغة » يبين هيدجر بعمق بالغ العلاقة بين الوجود وبين اللغة ، على اساس أن وجود الآنية هو في المقام الاول فهم للموقف الذى يوجد فيه الانسان . وهذا الفهم قد اتخذ اللغة أداة له .

« فالقول هو الافصاح عما هو ممكن الفهم . ولهذا فانه يقوم في اساس الايضاح والافصاح . والمعنى هو ما يفصح عنه في الايضاح ، وهذا المعنى يفصح على نحو اكثر اصالة في القول . وما هو مركب بواسطة افصاح القول ، نحن نسميه مجموع المعنى ، الذى يمكن ان يصاغ في كثرة من المعاني ... والوجود — في — العالم ، بوصفه مفهوما على نحو الشعور بالموقف ، يعبر عن نفسه بالقول . ومجموع المعاني لما هو مفهوم يفضي الى القول . فالمعاني تتحول الى كلمات . (٤٠) .

وانفتاح الآنية (= الوجود الانساني) Dasein يتم بعضه بالقول ، ولهذا فان القول

---

(٤٠) هيدجر : « الوجود والزمان » الفصل ٣٤ ، ص ١٦١ Heidegger : Sein und Zeit

من مقومات وجود الآنية . والسمع والسكوت هما من ممكنات القول . وهذه الظواهر تمكن وحدها من توفير ايضاح كامل للدور الوظيفي الذى يقوم به القول من أجل وجودية الوجود .

والقول ايضاح ذو معني للتركيب القابل للفهم ، الخاص بالوجود ـ فى ـ العالم ، هـذا الوجود ـ في ـ العالم الذى لا ينفصل عنه الوجود ـ مع ـ الغير ، وهو يتحقق عينيا دائما في الوجود ـ مع والاهتمام المشترك . وهذا الوجود ـ مع هو قول ، من حيث انه يوافق ، او يرفض ، او يدعو ، اوينبه ، او يناقش ، او يتدخل ، ومن حيث انه يشهد .

والتبليغ Communication يجب ان يفهم بمعنى واسع انطولوجي . فالتبليغ الادارى مثلا ما هو الا حالـة جزئية مـن التبليغ بالمعنى العـام المستخدم في معناه الوجودى العام . وبهذا المعنى فان التبليغ مهمته ان يؤلف الافصاح الخـاص بالوجود ـ مع من حيث انه فهم . وهو يتم المشاركة فى الشعور المشترك بالموقف ، والمشاركة في فهم الوجود ـ مع ـ الغير . « والتبليغ ليست مهمته ان ينقل انطباعات ، أو آراء ، أو أمانى من باطن شخص الى باطن شخص آخر . بل الوجود معا هو فى جوهره ومنذ البداية دائما ظاهر ومتجل في الشعور المشترك للموقف وفي الفهم المشترك . والوجود ـ مع ـ الغير مشارك فيه ـ فى القول ـ بصراحة ، لكنه ثم ، بينما هو لم يدرك ، ولم يرفع الى الاقتناء ، لانه لم يقدم بعد الى المشاركة » (٤١)

ان الآنية تعبر عن نفسها بالقول، وما تعبر عنه هو وجودها خارج نفسها او بالاحرى حالة عينية لشعورها بالموقف . « فى : اللغة : الآنية والشعور بالموقف يفحصان عن ذاتهما بواسطة لهجة القول ، وتنغمه ، ونظمه ، وبواسطة طريقة الكلام . وتبليغ الامكانيات الوجودية للشعور بالموقف ، اعنى انكشاف الوجود يمكن أن يكوّن الغاية الخاصة بالقـول الشعوى » (٤١) .

واللحظات المؤلفة له هى : ما يتكلم عنه القول ، والمقول من حيث هو مقول ، والتبليغ والتجلي . وهذه اللحظات ليست مجرد خصائص يكشف عنها تجريبيا فى اللغة ، بل هي خصائص وجودية مغروسة فى التركيب الانطولوجي للآنية . وابتداء منها وحدهـا تصبح اللغـة ممكنـة مـن حيث الانطولوجيا .

والمحاولات التي بذلت من أجل ادراك «حقيقة اللغة » اتجهت الى هذه اللحظة او تلك من هـذه اللحظات . وهكذا فهمت اللغة على ضوء فكرة : « التعبير » ، أو « الشكل الرمزى » ، او « التبليغ المفصح » ، أو « تجلى الحياة التى عيشت » ، أو « بنية الحياة » .

ويتضح دور الكلام في الفهم الوجودى للعالم اذا ما حللنا ظاهرة : السمع ، فليس من قبيل الصدفة ان نقول اننا « لم نفهم » ، حينما « لم نسمع » جيدا . فالسمع جزء مقوم للكلام . وكما ان الانبعاث اللغوى للاصوات يتأسس في الكلام ، كذلك الادراك السمعى يتأسس فى السمع ، ان السمع هو الانفتاح الوجودى للآنية فى مواجهة الغير ، من حيث ان الآنية هي وجود ـ مـع ـ الغير . بل ان السمع ليكوّن الانفتاح الاولى الصادق للآنية فى مواجهة شعورها بالوجود المملوك لها : ان هذا هو سمع الصوت الحبيب الذى تحمله كل آنية فى داخلها . ان الآنية تسمع لانها تفهم . والآنية ـ بوصفها وجودا ـ فى ـ العالم ـ مع الغير ، يفهم ، هي تتنبه لكل ما يوجد معها ولنفسها ، والذين يوجدون معاً هم خاضعون جميعا لقانون هـذا الانتباه . وهذا السمع الانتباهي المتبادل ، الذى

---

(٤١) الكتاب نفسه ، ص ١٦٢ .

(٤٢) الموضع نفسه .

يؤسس الوجود ــ مع ــ الغير ، يتبدى على وفق الاحوال الممكنة للطاعة « للسمع » ، للموافقة ، أو على وفق الاحوال المعدولة لرفض الاستماع ،للمعارضة ، للتحدى ، وللنفور . » (٤٣) .

ومن يفهم هو وحده الذى يستطيع أن يصغي . ومن يصمت يسهم في الفهم ، فهو يسهم في مزيد من الفهم أكثر من ذلك الذى لايعوزه الكلمات . وفيض الكلمات بمناسبة وغير مناسبة لايضمن ابدا تقدم الفهم . بل على العكس : الثرثرة المستمرة تستر ما يعتقد انه فهم ، وتفضي الى وضوح خداع ، اعنى الى اتفاه ما لم يفهم . « والسكوت لا يعني الخرس . بل بالعكس : فان الاخرس يميل دائما الى ان يتكلم . وان يكون الانسان أخرس لايكفي لاثبات انه يستطيع ان يسكت ، بل بالعكس ، الخرس يمنع من اثبات ذلك . اما الصموت بطبعه ، فانه لايبين انه يسكت او يمكن ان يسكت ، ومن لايقول شيئا ابدا ليس ايضا قادرا على السكوت حين ينبغي السكوت . وانما القول الحق هو الذى يمكّن من الصمت الحق . والآنية ، لكي تستطيع أن تصمت ، لابد ان يكون لديها شيء لتقوله ، وهذا يعني انه يجب عليها ان يكون تحت تصرفها كشف حق وممتد بذاته . وفى هذه اللحظة يأخذ الصمت معناه ، ويحطم الثرثرة . فالصمت ــ بوصفه حال القول ــ يفصح عن الفهم للآنية بطريقة أصيلة بحيث يؤسس القدرة الحقة على السمع والوجود ــ مع الناصح » (٤٤) .

ولم يكن صدفة أن عرف اليونانيون الانسان بانه (حيوان ذو نطق) ، اذ الانسان يتجلى بوصفه الموجود الذى يتكلم .

وعلم المعاني semantique بوصفة نظرية فى المعنى ، يتأسس فى انطولوجيا الآنية .

ويتساءل هيدجر ما هي حال الوجود التي ينبغي نسبتها الى اللغة : هل اللغة اداة ميسرة فى داخل العالم ، أو تشارك فى حال وجود الآنية ، أو ليست هذا ولا ذاك ؟ وماهو المعنى الانطولوجي لنمو لغة ما وانحلالها ؟ « ان علم اللسان linguistique موجود ، لكن وجود الموجود ــ الذى يتخذه علم اللسان موضوعا له ــ يظل غامضا ، والافق الذى فيه يمكن ان يوضع السؤال يظل متلفعا بالضباب . وهل من قبيل الصدفة ان كل المعانى تنتسب غالبا الى العالم ويفرضها قابلية العالم لاعطاء معنى ، وذات تمكن ؟ او على العكس ، نحن هنا بازاء واقعة ضرورية من الناحية الوجودية والانطولوجية ولماذا ؟ ان التأمل الفلسفى ينبغي عليه ان يتخلى عن « فلسفة اللغة » ابتغاء ان يرجع الى « الاشياء نفسها » ، ليسألها ويتهيأ له ان ينمي جملة مسائل وتصورات واضحة » (٤٥) .

ومن أبرز الملامح في كتابات هيدجر اهتمامه الهائل باشتقاق الكلمات ، والتعمق المفرط فى ذلك الى حد قد يخيل الى الانسان معه انه انما يريد ان يستخلص الفكرة من الاشتقاق .

ذلك ان اللجوء الى الاشتقاق يعني في العادة معرفة مختلف المعاني التي مرت بها الكلمة على توالى الازمنة ، وعلى تفاوت السياقات التي استعملت فيها . لكن هيدجر لايقصد ابدا الى هذا ، حين يحتفل للاشتقاق كل هذا الاحتفال . انما هو يصدر في هذا عن حقيقة آمن بها ، الا وهي ان تاريخ معاني كلمة ما هو تاريخ الوجود . ذلك ان كل تحليل للاشتقاق يؤدى بنا الى المثول فى حضرة الوجود . اذ الكلمة تكشف ــ من خلال هذا التاريخ الاشتقاقي عن سلسلة من التحولات ، ليست بالضرورة افقارا لها : « ان في تاريخ كل كلمة يتكشف تاريخ الوجود ، لان تاريخ الكلمات هو نفسه تاريخ

---

(٤٣) هيدجر : « الوجود والزمان » ، ص ١٦٣ .

(٤٤) الكتاب نفسه ، ص ١٦٥ .

(٤٥) هيدجر : « الوجود والزمان » ص ١٦٦ .

الوجود . ومن وجهة النظر هذه ، فان الاشتقاقهو الطريق الوحيد للانطولوجيا بوصفها اعادة بناء لتاريخ الوجود . ومع ذلك فان كل تفكير يسعىلشمول تاريخ الوجود لايضم في النهاية غير تاريخ الوجود في كليته وشموله ، اعنى تاريخ انفتاحاتالوجود وتاريخ الحقيقة » . (٤٦) وتعدد المعاني وما بينها من روابط ، في مجموع أشتقاقاتها ، وسيلةللوصول الى تاريخ الوجود .

ان الاشتقاق يغني الكلمة بمعان عديدة ماكنا لنلتفت اليها لو اننا اقتصرنا على المعانيالمحددة للكلمات . وثراؤها هذا نابع من كشفها للوجودوايضاحها لمعانيه .

ويولي هيدجر الرابطة في القضية(وهيفعلالكينونة sein, to be, être الخ) عناية خاصة، لان الرابطة ليست فقط تؤسس العلاقة بينالموضوع والمحمول ، بل وايضا تضع الرابطة بين تركيب القضية وتركيب الحقيقة الواقعية. وحتىفي القضايا التي تبدو فيها الرابطة لاتؤدى وظيفة اثبات الوجود (مثل : العنقاء (يكون هو) طائرخالد) ـ فانها تحيلنا الى عالم يفترض فيه ان للموضوع موجودا .

واللغة في اصلها ليست علامات،بل اشارات Zeigen اى انها تشير ، بان تكشف عن شيء مستور . ولهذا فان اللغة فى اساسها شعر بالمعنىالاشتقاقي للمقابلاليوناني لكلمة شعر (= خلق ، فعل ، انتاج) . وماهية اللغة تقوم في الوحدةبين التفكير والشعر .

و « فقط حيثتوجد اللغة يوجد عالم (٤٧)» . ولما كان التاريخ لايصير ممكنا الا في عالم فانه حيثتوجد اللغةيوجد التاريخ . «واللغةليست اداةتحت التصرف ، بل هي الحادث الذى يتصرف فى الامكان الأعلى لوجود الانسان » (٤٨) .

• • •

الصلة بين المنطق والنحو

ونتنقل من هذه الاعتبارات الفلسفية العامةالى النظر التحليلي في الصلة بين المنطق والنحو . وقد تعرضنا لها تفصيلا ، سواء من الناحيةالتاريخية ومن الناحية المذهبية ، فى كتابنا : « المنطق الصورى والرياضي » (٤٩) ولن نعيد هاهنا شيئا مما قلناه هناك . وانما نورد أمثلة تطبيقية للنظريات التى عرضناها هناك لمختلفالمفكرين .

لقد تنبه ليبنتس الى اهمية هذه المشكلةبكل وضوح،فقال: « ان اللغات هي اصدق مرآة للعقل الانساني ، وان التحليل الدقيق لمعانيالكلمات يمكننا ـ خيرا من اى شيء آخر ـ من فهم عمليات العقل » (٥٠) وقد ترك لنا بعد وفاتهكثيرا من الفصول التي تتناول تحليل الاشكال اللغوية من الناحية المنطقية . وقد نشر بعضهاالوى كوتيرا .

---

(٤٦) Gianni Vattimo : **Essere, Storia e Linguaggio in Heidegger**, p. 158. Torino, 1963.

(٤٧) Heidegger : **Erlauterungen zu Holderlins dichtung**, 2. Amph., p. 35. Fralofort-aur-Rhein, 1951.

(المرجع) السابق ، ص ٣٥ .

(٤٩) عبد الرحمن بدوى : المنطق الصورى والرياضي ، ص٢١ ـ ٤٣ ، القاهرة ، الطبعة الاولى سنة ١٩٦٢ والطبعة الثالثة سنة ١٩٦٨ .

(٥٠) Leibniz : **Nouveaux Essais III, VII.** (عند نهايتـه)

بيد ان احدا بعد ليبنتس لم يهتم بهذا اللون من البحث ، كما لاحظ كوتيرا Couturat . ذلك ان الفلاسفة لم يهتموا باللغة وصلتها بالفكر ، ثم ان علماء اللغات ، من ناحيتهم ، قد تعلقت همتهم بالجانب المادى والفسيولوجي من اللغة ، وهوعلم الصوتيات Phonetique وحتى في دراستهم لعلم المعاني semantique وهو الجانب الفكرى من اللغويات ، اهتموا اكثر ما اهتموا بالجزئيات الغريبة وغير المنطقية ، واطرحوا جانبا الخصائص العامة رغم مالها من تأثير هائل في بيان المنطق المستور الفعال في تكوين اللغات وتطورها . ومن هنا كان علم الفقه philologie أميل الى الوصف والبيان التاريخي ، واكثر تعلقا بالجزئيات ، ويكاد يعد كل حكم تقدمي ضربا من التجديف :

« ان الكلمات علامات على افكارنا . انها علامات ، شأنها شأن سائر العلامات ، ولكنها أيسر مما سواها ، لانها تكتب ويتفوه بها ، وتدرك بالسمع والنظر ، ويتوافر فيها كل شرائط العلامات : واول هذه الشرائط هو التطابق المتواطىء بين العلامة والادراك المعلم ، ولكل ادراك علامة واحدة ، ولكل علامة ادراك واحد . فهذا هو مبدأ التواطؤ ، الذى بينه بوضوح كبير اوستفلد Ostwald .

« وهذا المبدا يبدو حقيقة مألوفة مفررة ، لانه بين تماما . لكن مداه يتضح ، حين يأخذ المرء فى تطبيقه على التحليل النقدى للغاتنا . ان كل تصور يجب ان يعبر عنه فى اللغة بتعبير واحد احد . ومبدأ الاقتصاد — بغض النظر عن المنطق — يقتضي ذلك . ومع ذلك فان معنى الجمع يعبر عنه اربع مرات فى العبارة التالية :« الاولاد الطيبون هم مطيعون » : وذلك فى الاسم وصفته والضمير الدال على الرابطة (هم) والصفة المحمولة . وبالمثل نجد معنى المؤنث يعبر عنه ثلاث مرات فى هذه الجملة : « الام الطيبة مجتهدة » : اولا فى « الام » (وكان ذلك كافيا) ومرتين فى الصفتين (الصفة + المحمول) . وكذلك فكرة الشخص فى لغاتنا يعبر عنها مرتين: فى الضمير (او فى الاسم) الذى يقوم مقام الفاعل ، ثم فى صيغة الفعل . وهنا يلاحظ المرء الاصل فى هذه الاطنابات : انه يقوم فى تطور لغاتنا . واللغات القديمة ، مثل اللاتينية ، لم تكن فى حاجة الى ضمير فاعل الى جانب الفعل (٥١) . بل الشخص واضح فى شكل الفعل . لكن حينما ضعفت اشكال الفعل تدريجيا ، احس المرء بالحاجة الى تحديد الاشارة الى الشخص ، فاضاف الضمير الى الفعل ، ومع ذلك احتفظ فى نفس الوقت بكل اشكال الفعل ذات الدلالات على الشخص . كذلك نجد ان حروف الجر تحل — الى مدى بعيد — محل احوال الاعراب as ، ومع ذلك نستمر فى استعمال احوال الاعراب مع حروب الجر . ومعنى هذا اننا نعبر عن الفكرة الواحدة مرتين . والآن قد صارت احوال الاعراب فى اللغات المنحدرة من اللاتينية الى الزوال وحلت محلها حروف الجر . وهذه نهاية تطور منطقى .

« وكل هذا يفسر تماما الاطنابات التى تبهظ كاهل لغتنا ، ولكنه لا يبرر ابدا هذه الاطنابات من الناحية المنطقية . ويتبين من هذا ان المنطق الشعبى غير المشعور به ، والذى يقوم عليه تطور لغاتنا ، يحمل فى ذاته ميلا عاما للاستبعاد التدريجي للاستعمالات المزدوجة والتكرار الزائد . والمنطق الواعي يمسك بالتطور الطبيعي ، من حيث انه يقضى عليه .

« وبالعكس ، ولكن على اساس نفس المنطق الباطن ، تحاول لغاتنا ان تخلق كلمات خاصة للتعبير عن بعض الامتثالات التى ليس لها بعد علاقة . فالاستفهام مثلا ليس له تعبير حتى الان

---

(٥١) وهذا ينطبق ايضا على اللغة العربية ، فالاصل الايكون الضمير بارزا ، بل مستترا ، يكتب ، اكتب ، يكتبون ، ولا نقول : هو يكتب ، انا اكتب ، هم يكتبون ، الخ .

فى لغاتنا (مثلما نجد تعبيرا عن النفى ، والشك ،الخ) ، فيما عدا تغيير ترتيب الكلام بتأخير الفاعل وهى عملية غير مؤكدة ولا ميسرة . ولهذا فان كثيرا من اللغات فيها كلمات او تعابير صاغتها من اجل التعبير عن هذه الفكرة بخاصة : فمثلا فى الانجليزية الكلمة do ــ وفى الدانيمركية الكلمة mon ، وفى الفرنسية est - ce - que (ويندران يستعمل اليوم التعبير الذى مثل reve - je ويستبدل به التعبير est - ce - que je reve) ، وفى اللغة(٥٢) الفرنسية الدارجة تظهر اداة للاستفهام جيدة وهى ti - ، فمثلا J'ai ti couru j'sais - ti وذلك على غرار الفائب المفرد est-il vene . وهكذا نرى ان المنطق الباطن يسعى دائما الى استعمال مبدأ التواطؤ او على الاقل ان يقترب منه . لكنه فى هذا السبيل يعوقه دائما الاستعمال والمنقول ، اى نتائج التطور الذى جرى على مدى القرون ، الذى تحمله كل لغة فى داخلها . وحتى لغاتنا الحديثة ذات التطور العالمى يبهظ كاهلها بقايا الاحوال النفسية السابقة على التاريخ وعلى المنطق ، التى انتجت هذه اللغات . انها تتخلص من هذه البقايا ببطء شديد وعلى نحو ناقص تماما . وفقط فى اللغة المصنوعة، التى تضرب صفحا عن الماضى ، يكون من الممكن استكمال مبدأ التواطؤ بكل دقة وتحقيق كل مقتضيات المنطق . ولا يتبين المرء مقدما الى اى مستوى من التبسيط يمكن رد النحو الخاص بمثل هذه اللغة ، رغم انها تقدم كل العناصر الضرورية للتعبير الدقيق عن الافكار ، وربما بنسبة اعلى مما تستطيعه لغاتنا المعتادة »(٥٣).

ومبدأ التواطؤ هذا لا ينطبق فقط على الاعراب ، بل ويمكن تطبيقه ايضا على معانى الكلمات المفردة ، وخصوصا على حروب الجر وحروف العطف . وفى مثل هذه اللغة المصنوعة سيتجلى الوضوح والتدقيق ، اذ سيكون لكل حرف نحوى معناه بينما نحن نرى فى لغاتنا ان للحرف النحوى particule معانى عديدة واستعمالات مختلفة ،مما يولد الغموض والخلط .

ويرى كوتيرا ان مبدأ التواطؤ هذا يخالف اكثر ما يخالف فى مسالة الاشتقاق اللغوى. صحيح انه يبدو فى الظاهر ان مقتضيات المنطق مطبقة فى اللغات الهندية الاوروبية ، وذلك بان يضاف الى الجذور المعبرة عن المعانى بادئات préfixes ولواحق suffixes تعبر عن علاقات محددة ثابتة ، مثلا : Atrides نسل اتريوس ، Pelopides : نسل بلوبس ، مما يؤذن بان de ــ هى اللاحقة الدالة على النسل أو الدرية لكن لو كانت لغاتنا منطقية لكانت اللواحق كلها ذوات اشكال ثابتة فى الدلالة على المعانى المعينة ،وفى هذه الحالة ستكون لها معان ثابتة . بيد ان الامر ليس كذلك فى الواقع : اذ الواقع هو ان البادئة او اللاحقة الواحدة تدل على معان عديدة، وان معنى واحدا يعبر عنه ببادئات ولواحق عديدة ، بحيث لا يوجد تواطؤ ابدا . فمثلا فى الفرنسية : اللاحقة able فى الكلمات : potable, mangeable تدل على : « ما يمكن أن . . » (يؤكل ، يشرب) ، ولكنها فى الكلمات : estimable, admirable, aimable تدل على : « ما يجب على الانسان أن . . » (يحبه ، يعجب به ، يحترمه) . والعلامات الدالة على اصحاب الحرف عديدة : فهى iste فى الكلمات : pianiste, artiste, dentiste ، وهى ier فى الكلمات Bott - ier, charpent - ier, serrur - ier وهى on- فى الكلمات charr-on, forger-on وهى en فى praticien, pharmacien الخ. واللاحقة الواحدة تستعمل فى معان متباعدة جدا،

---

(٥٢) وفى العربية تستعمل الكلمات : الهمزة ، وام وهل ،وما ، ومن ، وكم ، وكيف ، واين ، وانى ، ومتى ، وايان .. فاللغة العربية هى اغنى اللغات بادوات الاستفهام .

(٥٣) Louis Couturat : "Die Prinzipien der logik", in **Encyclopadie der philosophichen Wissenschaften**, erster Band : Logik, p. 193-195. Tubingen, Verlag I'e. B. Mohr, 1912.

فمثلا اللازمة ‎-ier,‎ تدل على الاناء او الحـاوى للشيء في الكلمات encr - ier , plum - ier وعلى المقيم فى مكان ، مثل Egyptien, Bresilien, Parisien

ويناظر البادئات واللواحق فى اللغات الهندية الاوروبية صيغ الافعال فى العربية :

١ ــ فاعل : (أ) يدل على الفعل المتبادل بين طرفين : مثل ضاربه ، وخاصمه ، وحاربه

(ب) بمعنى فعَل ، مثل قاتلهم الله : اى قتلهم ، ومثل : سافر الرجل .

(جـ) بمعنى فعَّل ، نحو : ضاعف الشيء .

٢ ــ تفاعل: (أ) يدل على الفعل المتبادل بين الاثنين او بين الجماعة ، مثل : تجادلا ، تناظروا

(ب) وعلى الفعل الصادر عن شخص او شيء واحد ، مثل : تراءى له .

(جـ) وبمعنى : أظهر ، نحو : تغافل ،تجاهل ، تمارض ، اذا اظهر غفلة ، وجهلا ، ومرضا .

٣ ــ استفعل : (أ) بمعنى التكلف ، نحو استعظم ، اى تعظم ، واستكبر : اى تكبَّر .

(ب) وبمعنى الاستدعاء والطلب : نحـــو استطعم ، واستسقى ، واستوهب .

(جـ)وبمعنى فعل ــ نحو :استقرَّ ،اى: قرَّ .

(د) وبمعنى صار ــ نحو : استنوق الجمل ، واستنسر البغاث (اى صار نسرا او شبيها به) .

٤ ــ افتعل : (أ) بمعنى فعل ــ نحو :اشتوى ، اى شوى ، اقتنى ، اى قنى ، اكتسب ــ اى كسب .

(ب) ويكون لحدوث صفة ــ نحو : افتقر،افتتن ! اى حدث له فقر ، وحدث له فتنة) .

٥ ــ تفعَّل : (أ) يكون بمعنى فعَّل ــ نحو :تخلصه ، اذا خلَّصه .

(ب) وبمعنى التكلف ــ نحو : تشجــع (تكلف الشجاعة) ، تجلد (تكلف الجلــد) ، تحلم ، (اى تكلف الحلم) .

(جـ) وبمعنى اتخذ ــ نحو : توسد التراب (اتخذه وسادة) ، تبنى فلانا (اتخذه ابنا) .

(د)وبمعنى تجنب ــ نحو :تحرَّج ،تأثم ،تهجد (اى تجنب : الحرج ، والاثم ، والهجود اى النوم)

(هـ) التمهل فى الفعل ــ نحو : تجرَّع ،تبصَّر ، تسمَّع ، تفهَّم ، اى تمهل فى فعل هــذه الامور .

(و) صار كذا ــ نحو : تمرَّأ الرجل (اى صار ذا مروءة) ، تأيمت المراة (صارت أيما) .

(ر) بمعنى استفعل ــ نحو . تنجَّــزه (اى استنجزه ، طلب منه انجازه) .

(ح) اعتقد انه كذا ــ نحو : تعظَّمه (اى اعتقد انه عظيم) .

(ط) بمعنى فعل ــ نحو : تهيَّب (اى هاب) ، تظلمه (اى : ظلمه)(٥٤) .

---

(٥٤) راجع فى هذا : الثعالبي ((فقة اللغة وسر العربية))،ص ٢٤٠ ــ ٢٤٢ ، القاهرة سنة ١٩٥٤ ، السيوطي : ((همع الهوامع)) جـ ٢ ص ١٦١ ــ ١٦٢٢ ، القاهــرة سنة١٣٢٧هـ ، ابن الحاجب: ((الشافية من علمى الصرف والخط)) جـ ٢ ص ٤٠ وما يتلوها ، ابن قتيبة : ((ادب الكاتب)) ص ٣٤٥ وما يتلوهــا ، القاهــرة ١٣٤٦ هـ ، ابن جنى : ((المنصف)) جـ ١ ص ٩٠ وما بعدها

ونجتزى بهذه الامثلة ، وهى تدل على انابنية الافعال تدل على معان مختلفة جدا ، وفى بعض الاحيان تكــون متعارضـــة او متناقضة فىالصيغةاو البنية الواحدة : فالصيغة تفعل تدل على الاتخاذ كما تدل على التجنب ، والصيغة : افعل تدل على الصيرورة (نحو : اطفلت المرأة ، صارت ذات طفل ، الحم الرجل ، صار ذا لحم) ، وعلى السلب (مثل : اشكيته ــ ازلت شكايته ، ازجهــ ازال منه الزج ، اعجمته ــ ازلت عجمته) .

وهذا يدل ابلغ دلالة على مجافاة الاشتقاق اللغوى للمبدأ الاساسى الذى يقوم عليه المنطق ، وهو مبدأ عدم التناقض . وقد تميزت اللغـــةالعربية بباب لا نجده فى اللغات الاخرى ــ حسب علمنا ــ وهو « تسمية المتضادين باسم واحد » ،وهو من اعجب خصائصها ، لانه انتهاك فاضــح لمبدأ عدم التناقض الذى هو الاصل الذى ينبنىعليه كل تفكير منطقى سليم . وكما قال الثعالبى ان ذلك من سنن العرب المشهورة ، كقولهم :الجون : للابيض والاسود . ــ والقروء : للاطهار، والحيض . ــ الصريم : لليل،والصبح والخيلولة:للشك واليقين . . ــ والند : المثل والضد ، وفى القرآن : « وتجعلون لله اندادا » على المعنيين . ــوالزوج : الذكر ، والانثى . ــ والقانع : السائل، والذىلا يسأل،والناهل : العطشان،والريان» (٥٥)

وقد خص السيوطي باب الاضداد بفصلطويل ممتاز فى كتابــه « المزهـــر » (جـ ١ ص ٣٨٧ ــ ٤٠٢ ، القاهرة ط ٤ ، سنة ١٩٥٨ م)استوعب مختلف الآراء فى هذه الظاهرة الفـــذة . لقد حار علماء العربية فى تفسيره : فقال البعض انه مـــن الالفـــاظ المشتركة equivoques ، « والمشترك يقع على شيئين ضدين ، وعلى مختلفين غير ضدين : فما يقع على الضدين : كالجون ، وجلل ، ومـــا يقـــع على مختلفين غير ضـــدين : كالعين » (جـ ١ ص ٣٨٧) . واشار ابن فارس فى « فقه اللغة » الى انكار ناس لهـــذه الظاهرة فقال : « من سنن العرب فى الاسماء ان يسموا المتضادين باسم واحد ، نحو الجون : للاسود ،والجون : للابيض . قال : وانكر ناس هذا المذهب وان العرب تأتى باسم واحد لشىء وضده » (٥٦) يقول انه جرد كتابا لذكر ما احتج به اصحاب هذا الرأى ، ولكنه لم يصلنا . وعلى كل حال فهذا يدل على ان هذه الظاهرة بدت غريبة او مستحيلة .

وكان من شأن مبدأ التواطؤ ان يجعل البادئة او اللاحقة الواحدة (فى اللغات الهندية الاوروبية) او الصيغة الواحدة (فى اللغة العربية) دالة على معنى واحد : فصاحب المهنة يستعمل لاحقة ، وللحاوى للشىء لاحقة خاصة ، وللمقيم فى المكان لاحقة خاصة ، وهكذا . فمثل هذه اللغة المصنوعة على هذا النحو ، ستكون ــ هكذا يرى كوتيرا ــاوضح واكثر منطقية ، واشد انتظاما من اية لغة من لغاتنا المعتادة الطبيعية . صحيح انها ستكون صناعية ، لكن ســيكون شـــأنها شـــأن الاسامى الكيماوية ، والمصطلحات الفنية فى الطب او النبات او سائر العلوم .

وفى اشتقاق اللغات الهندية الاوروبية يضطر المرء الى وضع تمييز أساسى بين صنفين مـــن الكلمات : الجذور الاسمية ، وهى التى تدل على ماهيات ، ثم الجذور الفعلية ، وهى التى تدل على نشاط او احوال او اضافات . وهذا التمييز يناظـــر فى جملتـــه التقسيم الى اصـــناف (او تصورات) والى اضافات relations . والاخيرة تنشىء الافعال مباشرة ،بينما الاولى تولّد الاسماء،

---

(٥٥) الثعالبي : « فقة اللغة » ص ٣٢٨ — ٣٢٩ . القاهرة سنة ١٩٥٤ .

(٥٦) السيوطي : « المزهر » جـ ١ ص ٣٨٧ .

اعنى الاسماء والصفات فى النحو . والعلاقة وثيقة جدا بين الاسم والصفة : ففى الفرنسية مثلا :
(une) blonde, (une) belle, (un) veuf, (un) aveugle, (un) avare
وفى العربية يكفى للانتقال من الصفة الى الاسم مجرد اضافة « ال » التعريف (الـ) جميل ، (الـ) باحث ، (الـ) فاصل ، الخ . – اما الجذور الفعلية فتؤلف صنفا محدودا فى اللغة الفرنسية ، مثل : aimer, courir, parler, dormir ومن الممكن تحويلها الى اسماء فنقول على التوالى : amour, course, parole, sommeil بيد ان هذه الاسماء انما تعبر عن « واقعة » النوم ، الكلام ، الخ ، اى انها تحيل النشاط الى موضوع او تصور فتفقده صفة الفعل ، لكن للغة العربية ، شأنها فى هذا شأن اللغة الالمانية ، ميزة كبرى على اللغة الفرنسية فى هذا الباب : وهى اننا فى اللغة العربية (كما فى الالمانية) نستطيع ان نحيل اى مصدر الى اسم ، بينما لا نستطيع ذلك فى الفرنسية ، الا فى احوال محددة ، مثل le boire, le dormir, le manger لكنك لا تستطيع ان تقول le supporter او le couronner, le saluer le pencher بينما نظائرها فى العربية والالمانية موجودة . ومن هنا تضطر الفرنسية فى مثل هذه الاحوال الى استعمال جمل طويلة للدلالة على ما تعبر عنه العربية والالمانية بلفظ واحد ، وذلك باستخدام العبارة .. le fait de متلوة بالفعل المراد تحويله الى اسم .

ولهذا فانى عانيت صعوبة شديدة فى التعبير بالفرنسية عن كثير من المعانى الواردة فى مذاهب المتكلمين المسلمين ، اذ تقوم هذه المعانى على مصادر محولة الى اسماء ، وهو امر لا يتم فى الفرنسية الا بالنسبة الى عدد محدود بالسماع والاستعمال . ومثل هذه الصعوبة عاناها الفلاسفة والكتاب الفرنسيون الذين يكتبون فى الفلسفة الوجودية ، لانها – لدى الفلاسفة الوجوديين الالمان – تستخدم كثيرا المصادر المحولة الى اسماء

(das) Existieren, (das) Moglich-sein, (das) Raumgeben,
(das) Betroffenwerden, (das) Bewendenlassen

كذلك نجد صعوبة بالغة فى اشتقاق الفعل من الاسم فى اللغات الهندية الاوروبية ، ويتم الامر على خلاف كل منطق . فلننظر مثلا فى الافعال الستة الآتية ، المشتقة من اسماء :

(a) Patronner = etre patron
(b) avengler = rendre aveugle
(c) plumer = enlever les plumes
(d) fleurir = produire des fleurs, garnir de fleurs
(e) saler = ajouter du sel
(f) courouner = orner j'ane couroune

ومن هذه الامثلة يتبين كيف ان اشتقاق اسم من فعل فى اللغة الفرنسية مثلا يؤدى الى معان متباينة اشد التباين ، هى على التوالى : a) صار كذا ، b) جعله كذا ، c) نزع منه كذا ، d) انتج كذا ، e) أضاف كذا ،) زينه بكذا . فما أشد تباين هذه المعانى ، رغم ان طريقة الاشتقاق واحدة فيها كلها ! وليس اشد من هذا انتهاكا لمبدأ التواطؤ ، وبالتالى للمنطق . لقد كان المنطق يقضى بان يكون المدلول واحدا لكل فعل مشتق على هذه الطريقة . ونظائر هذا فى اللغة العربية ، الصيغة ، « فعّل » (بتشديد العين) فهى تدل على :

(أ) جعله كذا – فى كلمات مثل : بغّض ، شبّه ، سوّد ، حرّك ، مزّق .
(ب) زينه بكذا – فى كلمات مثل : توّج ، نصّب ، وفّر ، زوّد .
(جـ) صار كذا – فى كلمات مثل : برّز (فى كذا) ، عمّر (صار ذا عمر طويل) .

(د) فعل كذا : حمّد (فعل الحمد) ، أوّل (فعل التأويل) ، صرّح (قال قولا صريحا) .

(هـ) التكثير ــ فى مثل : غلّق (الابواب) ، ذبّح (الابناء) .

(و) التقصير ــ فى مثل : فرّط .

(ز) نسبة الى كذا ــ فى مثل : ظلّمه (نسبه الى الظلم) ، جهّله (نسبه الى الجهل) وكذلك الحال فى سائر ابنية الافعال ، كما ذكرنا من قبل .

وقد لاحظ السيوطى ان اشتقاق الافعال من الاسماء ، او على حد تعبيره : من الجواهر ، قليل جدا فى العربية . قال : « اشتقاق العرب من الجواهر قليل جدا .. ومن الاشتقاق من الجواهر قولهم : استحجر الطين ، واستنوق الجمل »(٥٧) .

ولصياغة الفعل من الاسم ، كان العرب فى الغالب يتبعون ما يلى :

١ ــ تجريد الاسم من الحروف الزائدة .

٢ ــ ثم صياغة الحروف الباقية بعد ذلك بصيغة من صيغ الافعال ، دون تقيد بانواع منها : اذ نجد الاوزان كلها : فعل (برق) ، فعّل (توّج) ، تفعّل (تمذهب) ، افتعل (استاف) استفعل (استحجر) ، تفعلل (تمنطق ، اى درس المنطق وصار عالما به) ، انفعل (اعتزل ــ صار على مذهب المعتزلة) ، أفعل (انجد ــ سار فى نجد) وهكذا .

من هذه الشواهد كلها يتبين ان لغاتنا العادية لا تساير المنطق فى كثير من الاوضاع ، بل قد تذهب احيانا الى حد الانتهاك العمدى الصريح لمبادىء العقل ، كما رأينا .

ومن هنا دعا البعض ، مثل كوتيرا ، الى ايجاد لغة صناعية للعلم ، تتخلص فيها من كل الوان المخالفات للمنطق ، التى اتينا على ذكرها ، لغة تتسم بالوضوح ، والمنطقية ، واتباع مبدا التواطؤ باستمرار فى كل تراكيبها واشتقاقاتها وتكوين المشتقات فيها من الجوامد ، لغة ، فضلا عن ذلك ، تكون اسهل من أية لغة عادية ، ويسهل على الغالبية العظمى من الناس تعلمها ، فتصبح اداة دقيقة للتفاهم الدولى وكما قال هـ. شوخرت H. Schuchardt ان اللغة الدولية صارت حاجة ملحة للعلم ، وللحياة العملية . ثم ــ هكذا يقول كوتيرا ــ « اليست اللغة العلمية فى غالبيتها لغة مصنوعة ؟ اليس كل علم مضطرا ، خلال تطوره ، الى صنع لغته الخاصة به ؟ ان مثل هذه اللغة تتجاوب مع أسمى حاجات العقل ، ومع مطالب الحياة المعتادة : انها تسعى الى تحقيق المثل الاعلى للغة الانسانية ، وبازائها ستكون لغاتنا المعتادة محاولات غامضة مشوشة ، ان صدقت هذه الجملة العميقة التى تقول : « ما ارادته اللغة حطمته اللغات » . وهل فى وسع امرىء ان يشك فى ان اللغات لم تحقق المثل الاعلى من اللغة الا على نحو ناقص كل النقص ؟ ان اللغة ، التى ظلت ردحا طويلا ينظر اليها بعض العلماء برهبة مستعبدة صوفية ، ما هى الا أداة من ادوات الفكر ، ومن حق الفكر ان يشكلها ويعدل فيها حسب حاجاته وما ييسر له علمه . واذا كان البحث فى اللغات يعلمنا كيف تكونت اللغات فى الواقع وتطورت ، فان من شأن المنطق ان يبين كيف ينبغى ان تكون اللغة من اجل ان تكون تعبيرا صادقا عن التفكير . صحيح ان الملاحظة والتحليل الدقيق لاشكال اللغة يلقيان الضوء على عمليات التفكير . لكن للعقل الانسانى الحق فى ان يحسن هذه الاداة كما يحسن سائر الادوات التى يستعملها ، حتى تؤدى الغرض منها على اكمل وجه .

---

(٥٧) السيوطي : « المزهر فى علوم اللغة وانواعها » ج ١ ص ٣٥٠ ، الطبعة الرابعة سنة ١٣٧٨ هـ ــ سنة ١٩٥٨م بالقاهرة .

« وعلى هذا النحو يستطيع المنطق ، مثل سائر العلوم ، ان يطبق تطبيقا عملياً ، بان يعمل على ايجاد ونشر لغة منطقية دولية ، تؤدى دورهافى تقدم الحضارة »(٥٨) .

وبهذه الآمال العريضة ختم كوتيرا بحثه عن العلاقة بين اللغة والمنطق . لكنها ان تحققت الى حد كبير فى الرياضيات وفى العلوم الفيزيائية والكيماوية والحيوية ، فلا تزال اللغات العادية تتأبى على هذا المنطق وعلى انشاء نحو عقلى خاضع المنطق .

• • •

ونحن فى كتابنا «المنطق الصورى والرياضى» قد استعرضنا تاريخ المحاولات التى بذلت لايجاد النحو العقلى سواء لدى اليونان، ولدى الاوروبيين فى العصر الحديث ، واشرنا اشارة اجمالية للمحاولات التى تمت بالنسبة الى النحو العربى . ولنورد هاهنا شواهد على ما بذله النحاة العرب فى هذا السبيل .

ان النحاة العرب قد اقاموا ادلة النحو على ثلاثة : نقل ، وقياس ، واستصحاب حال .

« والنقل هو الكلام العربى الفصيح المنقول بالنقل الصحيح ، الخارج عن حد القلة الى حد الكثرة فخرج عنه اذن ما جاء فى كلام غير العرب من المولدين ، وما شذ من كلامهم ، كالجزم ب « لن » ، والنصب ب « لم » . قرىء فى الشواذ « ألم نشرح . . » بفتح الحاء ، وكالجر ب « لعل » كما فى : « لعل أبى المغوار منك قريب »

وقال : علّ صروف الدهر او دولاتها

وكنصب بعضهم جزئي : « لعل » و «ليت» قال :

يا ليت ايام الصبا رواجعا » (٥٩)

والنقل ينقسم الى تواتر ، وآحاد . والتواتر هو لغة « القرآن الكريم وما تواتر من السنة وكلام العرب . وهذا القسم دليل قطعى من ادلة النحو يفيد العلم » (٦٠) واشترطوا للنقل شروطا : من حيث عدد النقلة والعدالة .

اما القياس فهو حمل فرع على اصل لعلة ، واجراء كلم الاصل على الفرع ، او هو « الحاق الفرع بالاصل لجامع » ولا بد فى كل قياس من اربعة اشياء : اصل ، وفرع ، وعلة ، وحكم . وذلك مثل ان تركب قياسا فى الدلالة على رفع ما لم يسم فاعله ، فتقول : « اسم اسند الفعل اليه مقدما عليه ، فوجب أن يكون مرفوعا ، قياسا على الفاعل » . فالاصل : هو الفاعل ، والفرع : هو ما لم يسم فاعله ، والعلة الجامعة هى : الاسناد ، والحكم هو : الرفع . والاصل فى الرفع ان يكون للاصل الذى هو الفاعل ، وانما اجرى على الفرع الذى هو : ما لم يسم فاعله ــ بالعلة الجامعة ، التى هى الاسناد . وعلى هذا النحو تركيب كل قياس من اقيسة النحو (٦١) » .

والنحو كله قياس ، كما قال ابن الانبارى ؛ ولهذا قيل فى تعريف النحو ان « النحو علم

---

(٥٨) البحث المذكور ص ٢٠١ .

(٥٩) ابن الانبارى (المتوفى سنة ٥٧٧ هـ) : « لمع الادلة »ص ٨١ ــ ٨٢ . دمشق ، سنة ١٩٥٧ م .

(٦٠) الكتاب نفسه ، ص ٨٣ .

(٦١) الكتاب نفسه ، ص ٩٣ .

بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب . فمن انكر القياس ، فقد انكر النحو . ولا نعلم احداً من العلماء انكره لثبوته بالدلائل القاطعــةوالبراهين الساطعة » (٦٢) .

والذين انكروا القياس فى النحو اعترضوابما يلى :

١ ــ لو جاز حمل الشيء على الشيء بحكم الشبه ، لما كان حمل احدهما على الآخر بأولى من صاحبه : فانه ليس حمل الاسم المبنى ــ لشبهالحرف على الحرف فى البناء ــ باولى من حمل الحرف ــ لشبه الاسم على الاسم فى الاعراب .وكذلك ليس ترك التنوين فيما لا ينصرف ــ لشبه الفعل ــ بأولى من تنــوين الفعل لشبــهالاسم . » (الكتاب نفسه ، ص ١٠٠) .

وبعبارة اوضح : اذا كنتم مثلا تمنعون من الصرف بعض الاسماء لشبهها بالفعل ، فلماذا لا تنونون الفعل بشبهه بالاسم ــ ما دام الأمر امر مشابهة ؟

ويجيب ابن الانبارى على هذا الاعتراض بقوله انه ظاهر الفساد ، « لان الاعتبار فى كون احدهما محمولا على الآخر ان يكون المحمول خارجاعن اصله الى شبه المحمول عليه، فالمحمول اضعف لخروجــه عن اصله الى شبه المحمول عليــه ،والمحمول عليه اقوى لأنه لم يخرج عن أصله الى شبه المحمول . فلما وجب حمــل احدهما علىالآخر ، كان حمل الاضعف على الأقوى ، أولى من حمل الاقوى على الأضعف . وعلى هذا يخرجما ذكرتموه من حمل الاسم على الحرف فى البناء ، دون حمل الحرف على الاسم فى الاعراب . وذلكان الاسم لما خرج عن أصله قوى فى بابه . فلما وجب حمل احدهما على الآخر ، كان حمل الاسمعلى الحرف فى البناء ــ لضعفه فى بابه ونقله عن اصــله ــ أولى من حمل الحرف على الاســم فىالاعراب لقوته فى بابه وعدم نقله عن اصــــله . وكذلك ايضا ما لا ينصرف : لما خرج عن أصله الى شبه الفعل من وجهين ، ضعف فى بابه . والفعل لما لم يخرج عن أصله قوى فى بابه . فلما وجب حمل احدهما على الآخر ــ كان حمل ما لا ينصرف على الفعل فى حذف التنوين ــ لضعفه فى بابه وخروجهعن اصله ــ أولى من حمل الفعل على الاسم فى دخول التنوين لقوته فى بابه وعدم نقله عن اصله .(ص ١٠١ ــ ١٠٢) .

٢ ــ « اذا كان القياس حمل الشيء علىالشيء بضرب من الشبه ، فما من شيء يشبه شيئا من وجه الا ويفارقه من وجه آخر ، فانكان وجه المشابهة يوجب الجمع ، فوجه المفارقة يوجب المنع . وليس مراعاة ما يوجب الجمع ــلوجود المشابهة ــ بأولى من مراعاة ما يوجب المنع لوجود المفارقة . فان : ما لم يسمَّ فاعله ، وانأشبه الفاعل من وجه ، فقد خالفه وفارقه من وجه . فان كان وجه المشابهة يوجب القياس ،فوجه المفارقة يوجب منع القياس » (ص ١٠٠ ــ ١٠١) .

ويرد ابن الانبــارى على هذا الاعتــراض بقوله : « انما يجب القياس عناجتماعهما فى معنى خاص ، وهو معنى الحكم ، او ما يوجب غلبــةالظن ، والافتراق الذى ذكرتموه انما هو افتراق لا فى معنى الحكم ، أو ما يوجب غلبــة الظن .والافتراقلا فىمعنىالحكم ولا ما يوجبغلبة الظن لا يؤثر فىجواز الجمع. وعلىهذا يخرجما مثلتم بهمن قياس ما لم يسمَّ فاعله على الفاعل فى الرفع : فانه وان كان يشابهه من وجه ويفارقه من وجه ،الا ان الوجه الذى يوجب القياس من المشابهة ــ اولى من الوجه الذى يمنع من جواز القياسمن المفارقة ، وذلك ان المعنى الموجب للقياس من

(٦٢) الكتاب نفسه ، ص ٩٥ .

المشابهة هو الاسناد ، وهو المعنى الخاص الذي هو معنى الحكم في الأصـل . وأما المعنى الذي يوجب منع القياس من المفارقـة فليس بمعنى الحكم ولا له أثر في الحكم بحـال . فلهذا كان قياس ما لم يسمّ فاعله على الفاعل في الرفع أولى من منعه » (١٠٣ ــ ١٠٤) .

٣ ــ « لو كان القياس جائزا ، لكان ذلك يؤدي الى اختلاف الأحكام ، لأن الفرع قد يأخذ شبها من اصلين مختلفين اذا حمل على كل واحد منهما وجد التناقض في الحكم . وذلك لا يجوز فان « ان » الخفيفة المصدرية « شبه » « أنّ » المشددة من وجه ، وتشبه « ما » المصدرية من وجه ، « وأنّ » المشددة معملة ، «وما» المصدرية غير معملة . فلو حملنا « ان » الخفيفة على « أنّ » المشددة في العمل وعلى « ما » المصدرية في ترك العمل ، لأدى ذلك الى أن يكون الحرف الواحد معملا وغير معمل في حال واحدة . وذلك محال » (ص ١٠١) .

ويرد ابن الأنباري على هذا الاعتراض بقوله : « هذا ظاهر الفساد أيضا ، لأنه لا يمكن أن تلحق بهما ، وانما تلحق باقواهما واكثرهما شبها : لأنه لا يتصور ان يستويا من كل وجه ، بل لا بد أن يزيد احدهما على الآخر ، فلا يؤدي ذلـك الى تناقض الأحكام . وعلى هذا يخرج ما مثلتم من حمل « أن » الخفيفة المصدرية على «أنّ» المشددة المصدرية في العمل وعلى « ما » المصدرية في ترك العمل . فان « أن » الخفيفة ، وان أشبهت «أنّ» المشددة في المصدرية ، كما أشـبهت « ما » في المصدرية ، الا ان شبهها لـ « أنّ » المصدرية أكثر من شبهها لـ « ما » المصدرية ، لأنها أشبهتها لفظا ومعنى ، وان كان لفظها ناقصـا مخففا » (ص ١٠٤) .

ويلاحظ على هذه الاعتراضـات والردود عليها انها تقوم كلها على أدلة عقلية ، مما يدل على المدى الذي ذهب اليـه تغلغل النزعة العقلية في تفسير القواعد النحويـة . والواقع ان كتـاب « لمع الادلـة » لأبي البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد الانباري (المتوفى سنة ٥٧٧ هـ) يقدم نماذج جيدة للنحو العقلي الموغل في التحليل الذي وصل اليه النحو العربي في القرن السـادس.

لقد انشأ النحويون العـرب علما تمهيديا للنحو ، سموه « أصول النحو » ، يناظر تماما « علم أصول الفقه » بالنسبة الى الفقه . والغرض من « أصول النحو » بيان الأصول العقلية التي انبنت عليها القواعد النحوية .

ولابن الأنباري في هذا البـاب اليد الطـولى ، خصوصا في كتابه « اسرار العربية » (٦٣) . ومن بعده جاء السكاكي في « مفتاح العلوم » فحرص على بيان الأسـباب العقليـة للقواعد النحوية والأوضاع اللغوية . فهو في خاتمة باب « علـم النحو » مثلا « يتعرض لبيان علة وقوع الاعراب في الكلم » ، وعلة كونه في الآخر ، وعلة كونـه بالحركات أصلا ، وعلة كونه في الأسماء أصلا ، وعلة كون السكون للبناء أصلا ، وعلة كون الفعل في باب العمل أصلا ، وعلة توزيع الرفع والنصب والجر ، وعلة أنواع الاعراب المختلفة(٦٤) وسيواصل السـعي في هذا المضمار موفق الدين بن يعيش (المتوفى سنة ٦٤٣ هـ) وذلك في شرحه على كتاب « المفصل » للزمخشري ، وهنا نجد صورة كاملة لنحو عقلي للغة العربية .

لكن المتتبع لتعليلات هـؤلاء النحويين لقواعد النحو والصرف ولحركات الاعراب ، بل وللتفسير

---

(٦٣) ابن الأنباري « اسرار العربية » ، نشرة بهجة البيطار، دمشق ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق . .

(٦٤) ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر السكاكي (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ) : «مفتاح العلوم» ص ٦٦ ــ ٧٦ القاهرة سنة ١٩٣٧.

العقلي للشواذ الواردة على هذه القواعد يشعر بأن الكثير منها مفتعل ، لكنها محاولة على كل حال لايجاد نحو عقلي ولبيان ما في قواعد العربية من منطق .

خاتمة :

والآن ، اذا أردنا أن نلخص النتائج التي وصلنا اليها من خلال هذا الاستعراض للنظريات المختلفة المتعلقة بالصلة بين المنطق واللغة بوجه عام ـ لقلنا :

١ ـ ان اللغة وان كانت اداة الفكر ، فانها لا تخضع دائما لمبادئه ، بل تكسرها أحيانا عن عمد ، واخرى عن تطور غير واع .

٢ ـ ان المحاولات العديدة لايجاد نحو عقلي ، او لتعليل التراكيب والقواعد اللغوية والنحوية بطريقة عقلية ، لم تفلح في « تعقيل » اللغة تعقيلا تاما ، اذ لا بد من ان نخلي هامشا واسعا للمنقول الجماعي غير الواعي ، الى جانب القياس العقلي والتطبيق المنطقي .

٣ ـ انه لا بد من التفرقة بين اللغة المعتادة ، واللغة العلمية : الأولى طبيعية وبالتالي تتأبى احيانا على الدخول في القوالب العقلية الدقيقة ، بينما اللغة العلمية لغة صناعية (أو مصنوعة) ولهذا فانها تلتزم بالمبادىء المنطقية .

٤ ـ انه اذا كان لنا أن ننشىء لغة مثالية فلابد أن تقوم على مبدأين : مبدأ التواطؤ Eindeutigkeit أي : العلامة الواحدة للمعنى الواحد ، ومبدأ القلب الذي يقول ان كل اشتقاق للمعنى يجب أن يقابله اشتقاق للشكل ، أعني اضافة او حذف عنصر في الكلمة ، فهذا هو معنى مبدأ القلب principe de reversibilité . وعلى هذين المبدأين قامت محاولات ايجاد لغة دولية تتوافر فيها كل هذه الخصائص . بيد انها لم تفلح حتى الآن في فرض نفسها . وانا لنجد في « معجم الفلسفة » لاستاذنا لا لاند Lalande عند نهاية كل مصطلح فلسفي جذراً دولياً لهذا المصطلح ، وفيما عدا هذا التطبيق لا نكاد نجد تطبيقا آخر . وبالجملة فان هذه الفكرة المثالية قد ضاعت وذهبت بذهاب اصحابها ، شأن كل الاحلام النبيلة التي جالت بعقول المفكرين .

٥ ـ وانه ـ الى أن تتم محاولة هذه اللغة الدولية ـ فمن الممكن العمل على تطبيق هذه الفكرة على كل لغة ، بالقدر الذي تسمح به روح هذه اللغة ودرجة تطورها . صحيح أن هذا من شأنه أن يباعد بين الأوضاع التقليدية ، بما فيها من شواذ كثيرة ، وبين الأوضاع الجديدة المنطقية . ولكن هذا الأمر لا قيمة له بالنسبة الى الفوائد العديدة جدا من صياغة قواعد اللغة على أساس ذينك المبدأين : مبدأ التواطؤ ، ومبدأ القلب . وليكن ذلك فاصلا بين عهدين في تطور اللغة الواحدة : اللغة القائمة على الاستعمال والتقليد والنقل ، واللغة القائمة على المنطق الدقيق .

ان قيمة اللغة هي في قدرتها على التعبير المحكم الدقيق عن المعاني والأفكار ، وليست في كثرة مترادفاتها ، ولا في وجود اضداد بها ، ولا في تأبيها على القواعد المحكمة الثابتة . واللغة اداة ، والاداة ينبغي الا تتحول الى غاية ، ولا ان تتعارض مع سيدها ـ وهو الفكر أو المنطق .

★ ★ ★